ملحق المحرّر

فلسطين

ملحق المحرر العدد (٥٢١) الخميس ٢٥ آذار ١٩٦٥ فلسطين رقم ١١

• نشأة
اتحاد العمال
الفلسطينيين

• مسألة
المانيا الغربية
ص ٣

فتاة
من
الناصرة

الصهيونية في الولايات المتحدة

للدكتور فايز صايغ

(ص ٦+٧)

العرب والدّين في الأدب الصهيوني

غسان كنفاني

ص ١٠ + ١١

رأي حر

هذه زاوية جديدة تفتتحها فلسطين لاي رأي مسؤول بغض النظر عن اجتهاداته ، ولا حاجة للاشارة الى ان ما ينشر فيها لا يمثل الا اجتهاد صاحب التوقيع .

لقد كثر الحديث في هذه الايام وتضاربت الآراء وتعددت الاجتهادات عن اعمال فدائية معينة ، قام بها بعض الشباب على ارضنا المسلوبة ووزعوا ونشروا بيانات وبلاغات عن اعمالهم باسم (العاصفة) لدرجة ان صحيفة المحرر اللبنانية فتحت بابا بنقاش حول هذا الموضوع يدفعها الاخلاص ويحدوها الامل للوصول الى نتيجة سليمة وقرار حكيم . واني كواحد من ابناء فلسطين اردت ان اقول رايي الشخصي وان أدلي بدلوي بين دلاء اخواني واعترف سلفا ان كثيرا مما ساقوله سبقني لقوله بعض الاخوان فليكن اذن اني اتفق معهم في رايهم واضم صوتي الى صوتهم.

كل عربي اصبح يؤمن بان السبيل الوحيد لاسترجاع حقنا وارضنا في فلسطين هو العمل المسلح لا سيما بعد انقضا ستة عشر عاما في محاولات ثبت عقمها واساليب تاكد فشلها . اما الشعب الفلسطيني فقد آمن بجدوى العمل المسلح منذ اللحظة الاولى وايمانه هذا قائم على تجربته الطويلة مع الاستعمار والصهيونية .

ولا بجانب الواقع اذا قلنا ان الشعب الفلسطيني قد جمد نشاطه وعزل عن ممارسة حقه طيلة ستة عشر عاما التي قضاها ممثلو الدول العربية في تلك المعالجات العميقة والاساليب الفاشلة في اروقة الامم المتحدة حتى صدموا بخيبة الامل .

ولا نذيع سرا اذا قلنا ان كثيرا من الشباب الفلسطيني ايمانا منهم بعدم جدوى تلك الاساليب لجاوا في هذه الفترة الى تشكيل التنظيمات السرية فانخرط الشباب في اكثر من تنظيم واحد .

وفي العام الماضي وفي مؤتمري القمة العربيين اخيرا قرر العرب الرجوع الى الاسلوب المجدي الوحيد في معالجة القضية لاسترجاع الحق والارض المغتصبين فقروا

اولا – انه لا يمكن ان يرجع لنا اى حق او ارض الا بقوة السلاح وان المعركة مفروضة علينا ولابد من خوضها واذن لابد من الاستعداد لها على شتى المستويات .

ثانيا – الرجوع الى ضرورة اشراك الشعب الفلسطيني في المعركة بل اعطائه الدور الطليعي والرئيسي فيها ولكن يقوم بدوره بشكل تام وفعال عليه ان ينظم نفسه ويوحد جهوده في جهاز واحد هو منظمة التحرير الفلسطينية لتكون هذه المنظمة الاداة الفعالة في خوض المعركة تسندها وتؤيدها الدول العربية .

بدات منظمة التحرير الفلسطينية فورا تمارس نشاطها وتبنى اجهزتها وتؤسس تنظيماتها في كافة القطاعات ويجب ان نعترف واعتقد ان كل عربي مخلص يعترف معنا انها تقوم بكل ذلك متخطيه صعوبات كثيرة في الداخل والخارج ولو اقتصر الهجوم عليها من قبل اسرائيل والاستعمار لهان الامر .

كان من الطبيعي على اثر ذلك ان تصبح منظمة التحرير الوعاء الكبير والاطار العام الذى ينتظم فيه كافة الشعب الفلسطيني بكل طاقاته وتشكيلاته السرية السابقة وذلك استكمالا للوحدة الوطنية واستبعادا لعل تفتيت في الجهد وانسجاما مع المخطط العام وهذا ما حدث الى حد بعيد غير ان تنظيما سريا معينا (العاصفة) بدأ بالقيام باعمال فدائية معينه كما سبق واثرت في مستهل هذا المقال .

ان مجرد النقاش في فائدة هذا العمل بل مجرد اعتراض او افراد قلائل عليه وبجراة يدعوا للتفكير طويلا والتساؤل كثيرا بعد ان قلنا بصورة قاطعة عن الاجماع على اهمية العمل المسلح ، لا سيما واننا لاحظنا ان المعترضون هم جماعه لا احد يشك في اخلاصهم بل ان بعضهم عرفوا بنضالهم الطويل ولهم مواقفهم المعروفة في المعارك والفداء .

اذن لماذا يعترضون ، اتراهم انحرفوا ؟ هل تنكروا لمبادئهم ؟ هل القوا سلاحهم وتخلوا عن مواقفهم كفدائيين مثاليين ان من يعرف واحدا من هؤلاء يجيب بلا تردد ان هذا مستحيل . اذن لماذا ؟ وما التفسير ؟

ومن جهة اخرى تثار تساؤلات بل اتهامات تدعو للالم هل صحيح ان اهداف اعمال العاصفة ليست وطنية ؟ هل صحيح ان لهم اتصالات مشبوهه مع جهات يهمها وضع الاحجار في طريق منظمة التحرير او احراج دول عربية معينه في هذا الظرف بالذات .

في ظني ان اعتراض الجماعات المخلصة وعلى رأسهم جماعات كبيرة من الفدائيين على تصرفات جماعة العاصفه هو الذي حدا بكثير من الاخوان الفلسطينيين ان يغالوا ويتطرفوا في الحكم ويتشككوا في النوايا ورجال العاصفه انفسهم يعلمون ان هناك تنظيمات سرية وضرورته لكل حركة ثورية واعتقد ان ثوار الجزائر وهم الرواد والمعلمون في هذا الميدان هم اكثر الناس معرفة وخبرة وتقديرا لاهمية الانضباط بحكم تجربتهم الطويلة .

لا نريد ان نظن ولكن نريد ان نعتقد وندعو الله ان نكون على حق في اعتقادنا ان الامر لا يتعدى كونه عدم انضباط او فلنقل اختلاف في الاجتهاد ففي هذه الحالة يهون الامر ويسهل ايجاد الحل والاتفاق مادامت النيه خالصة والهدف واحد . اما اذا كانت تلك التساؤلات في محلها واستندت تلك الاتهامات على شيء من الحقائق فالامر يصبح كارثه وطنية تهون امامها ما مر بنا من كوارث لان ذلك يتناول قطاعا هاما من جهاز نضالنا وهو القطاع الذي نعول عليه كثيرا وننتظر منه دورا بارزا في معركه التحرير .

لا نظن ان احدا يفهم مما تقدم اننا نقلل من اهمية الاعمال الفدائية .

وفي نفس الوقت لا نظن ان احدا يعتقد ان الاعمال الفدائية وحدها كافية لاخذ حق او استرجاع شبر ارض حتى لو استمرت لعدة اشهر او سنوات ولكنها جزء مهم من مخطط يجب ان نوفر له كل اسباب النجاح على شتى المستويات وفي كافة الميادين والجبهات

واصبح من البديهيات القول بان الوحدة الوطنية توفر كثيرا من اسباب النجاح هذه اذ لا نغالي اذا قلنا انه لن ينجح لنا اى مخطط بدون هذه الوحدة والادلة على هذا المبدا نراها ونلمسها دائما وفي كل المناسبات ويكفي ما نشاهده من حرص العدو وعمله الدائم للتفرقة والتفتيت .

الدكتور رفعت عوده

البريد

تلقى بريد « فلسطين » خلال الاسبوعين الماضيين عددا كبيرا من الرسائل ، من لبنان وخارج لبنان ، يطلب فيها مرسلوها ان تتسع صفحات فلسطين لنشر انتاجهم او الرد على اسئلتهم .

ولما كانت هذه الصفحة لا تستوعب كل ذلك العدد من الرسائل ، لذلك فاننا نحاول قدر طاقتنا الرد على اكبر عدد ممكن ، راجين من القراء ان يعمدوا الى الاختصار والايجاز في رسائلهم ومقطوعاتهم ، آملين ان نتمكن في الاعداد القادمة من الرد على جميع الرسائل .

« فلسطين »

كتب السيد محمد عز الدين المناصرة في القاهرة تحت عنوان « الفردوس السليب »

يا باكي الاطلال دع عنك البكا
او تبكي الحجر الصلود بحرقة
دع عنك ذاك الاثقال فهاجنا
اجر دموعك في بقايا خيمتي
وانظر خيام اللاجئين بغزة
هم شردوا هم عذبوا يا ويلتي
عرى وسحق بل وموت ماحق
والجوع والتشريد واقع بلوتي
مستعمرين تكالبوا بديارنا
والذل يركبهم بواقع امتي
فغدا نهدم صرحهم بعزيمة
وغدا رؤوسهم تدق بصخرة
قسما بدير ياسين مذبح اهلنا
لاحطمن بروجكم في صموتي
اني انا العربي دوما صابر
في حومة الهيجاء او في الجولة
فغدا نعود وغدا نعيد ديارنا
وتجر اسرائيل ذيل الخيبة

كتب طلال المصري يقول :

اعطني يا اخي مدفعها
اعطني اياه
كي احطم السراب
وهمم الحدود
كي اثور
ولو مرة على ذاتي
اعطني مدفعي كي اموت
فما ثمن حياتي هذه
ولما احيا ؟ ؟
وهل هذه حياة ؟ ؟
اعطني مدفعي وانتظرني
وان مت امامك
اعبر الى الميدان
على جسدي
واذكرني ...
اعبر الى حيث الزيتونه
واقرأ الفاتحة من اجلي
اوضع صليبا
على طريق العودة
على قبري
واذكرني .. اذكرني
في طريق العودة
متى .. متى يازمان
وندك ساعتها الحصون والبنيان
ونقول لهم ساعة الخلاص قربت
نحن في الانتظار ...

● مصطفى محمد فقير
بيروت – كتب يقول :

يا ترى امتى حنمحي العار
ولحد امتى حنصبر عالفجار
طالت الهدنة وطال الانتظار
سبعة عشر سنة والحبل عالجرار
خدعوا بالسياسة عبيد المال
وخدروا بالاغاثة أصحاب الديار

تجاهلوا الحق لانهم انذال
والحق ظاهر مهما تكونت الاقوال
امتى يا ترى امتى حنمحي العار
الآذان لكم ولكم الابصار
آمنوا بالحق وكفى استهتار
ان تنصروا الله تعودوا احرار
الله قادرا على محق الكفار
قاتلوا التي تبغي باختصار
ومن يقتل يفوز بافضل انتصار
جنات عدن تجري من تحتها الانهار
خالدا فيها ان استقام وسار
امتى يا ترى امتى حنمحي العار
ان وعد الله حقا يا ابرار
لا تهنوا ولا تجزعوا من الكفار
أنتم اسلاما له وله انصار
الله غافر وعفو وجبار
لا يحقق المال يوما لاهله استقرار
ولا يستقر الا الحق القهار
والسلام قول من رب رحيم غفار
اذا جنحوا للسلم وأخلوا ما لنا من ديار

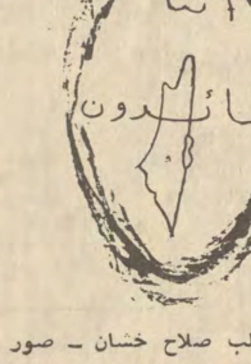

● الطالب صلاح خشان – صور ارسل لنا يقول انه يهدينا صورة لفلسطين رسمها بدمه معاهدا فلسطينته ان يهدر دمه في سبيل استرداد بلده ويعاهد على التضحية من اجل فلسطين

● علي حسين خلف
القاهرة

طريقنا طريقنا ،
طريقنا الوعر .
سهولنا ،
جبالنا ،
مزروعة بالدم ،
بالبشر .
بدمنا سترتوي ،
سيكبر الوليد ،
نياره القدر .
طريقنا الجبل .
سيرتفع صراخنا ،
يلف قرص الشمس ،
يملؤها الحفر .
وتنطلق بنادق ،
بكرمل ،
بمجدل ،
تعمق العمل .
ولينطلق شهيدنا ،
يمزق الحدود ،
يمد خلف السلك ،
قنبلة الامل .

● احمد حرب عليان –
السعودية – جامعة الرياض

الى ضحايا النكبة .. الى كل نازح .. الى من صارعوا الحياة .. من اجل الحياة .. الى ابناء فلسطين . من وحي هذا البؤس والتشريد انظم في قصيدي

من لوعة الحرمان ... بت اناصر الشعب الشريد
من وحي ايماني ... بشعبي النازح الحر الطريد
ولاجل هذا ... وذاك يا سلوى ... سأفتك باليهود
انا يا اخي الانسان ... لن ابقى شريد
لا .. لا .. ولن يرتاح .. في ارضي العبيد
أنا قد نفضت عن يدي ... طوق الحديد
وغدا .. وغدا يضاف لامتي .. نصرا جديد
أنا قد قسمت ان .. أثور على الطغاة
وبموطني .. اختاه لن .. يبقى العداه
ولارض اجدادي سأرجع .. رغم اعداء الحياة
ومرارة التشريد سوف نذيقها رهط البغاه
اختاه لاح النور ... وانقشع الضباب
اختاه عهد الغاب ... قد امسى سراب
واليوم ... بعد اليوم لن يعش الذئاب
والصفحة السودا ... سيطويها الشباب

● تمام صالح حجير –
مخيم البص – صور

يا طير خذ هالرسالة وروح كالعقبان
ودي سلامي لعبد الناصر جمال
واسرع بالمسير واقطع الوديان
وقل للملوك ورؤساء العرب تحقق امالي
بعد ما كنا نعيش بين الاهل في الاوطان

اصبحنا مشردين بين الانام
سلم عليهم وعود للسودان
واخبرها رجالنا صارت خيالي
يا طير خذ هالرسالة وعد للاوطان
واشك امر السر واشك لحالي
ودي التحيات واعكف على لبنان
واخبرهم كيف نقطن بالخيام
وقل للملوك ورؤساء العرب اصبحنا كالعقبان

لا بيت لا ملجأ حتى ولا مال
ودي سلامي وجودي في البنيان
واطلب الجود من رب الجلال
وروح يا مرسال وارجع الى الديار
رب العرش رب السرير العالي
وقل له انك مفرج الكربات والاحزان

فلسطين ملحق المحرر
صاحبها ومديرها المسؤول هشام ابوظهر
رئيس تحريرها غسان كنفاني
تصدرها : المؤسسة الصحفية للنشر والانتاج
المشرف الفني : نبيل ابو حمد
العنوان : بيروت بناية اللعازارية A-3
ص.ب : ٥٣٦٦
هاتف : ٢٥٣٧٠٠ – ٢٥٨٢٦١
٢٣٥٩٥٢
طبعت على اوفست مطابع منظورة

قصة الرحلة العاصفة التي قام بها الرئيس التونسي

بورقيبة يعرف قضية فلسطين

ولكن !

بالرغم من عدم وجود اي بند خاص يتعلق بفلسطين في مذهب « البورقيبية » الذي وضعه وشرحه ونفذه ودعا اليه ودافع عنه الحبيب بور قيبة ، الا ان الذين يبذلون الجهود الان من اجل « توعية » الرئيس التونسي حول حقيقة القضية الفلسطينيه سيجدون انه ليس في حاجه لمن يساعده على الوعي بقدر ما هو في حاجة الى من يساعده في ضبط الحسابات !

فالرئيس التونسي الذي دخل ميدان السياسة منذ ثلاثين سنة ، يعرف حقيقة القضية الفلسطينية جيدا .

ليس فقط لانه «المجاهد الاول في العالم العربي والمجاهد الثالث في العالم» – على حد تعبيره – بل لانه عاش منفيا في المشرق العربي منذ احتدام ازمة فلسطين الى ما بعد النكبة . بل انه استمع الى الحكايات الفلسطينية طوال تلك الفترة الى الحد الذي خلق لديه عقدة خاصة اسمها «عقدة فلسطين» . فهو لا يزال يروي حتى الآن لحاشيته كيف انه كلما كان يطرق ابواب المشرق العربي متحدثا عن تونس ، كان يسمع كلمة فلسطين . وان حديث تونس في المشرق كان نوعا من «حوار الطرشان» : تونس ، تقصد فلسطين ... نعم تونس ... آه تقصد فلسطين !

والآن – تستمر الرواية – يشعر الرجل الذي اصبح حاكما مطلقا على خمسة ملايين تونسي انه يستطيع ان ينقلب ضد الحوار القديم : «فلسطين ؟ تقصدون تونس . بل فلسطين آه ، تقصدون تونس !»

هذا مع ان «المجاهد الاكبر» يدرك بوضوح انه ليست هناك منافسة بين فلسطين وتونس وان الفلسطينيين وقفوا دائما الى جانب نضال الشعب التونسي من اجل الاستقلال بل وذهبوا في ذلك الى ابعد ما ذهب بورقيبة نفسه في بعض الاحيان ، ربما لانهم لم يكونوا قد اطلعوا بعد على المخططات المرحلية في الفلسفة البورقيبية .

ثم انه بالرغم من بعض المظاهر العصبية التي تبدو على الرئيس التونسي فتثير الالتباس لدى المتفرجين، الا ان هذا الرجل الذي استطاع التخلص من جميع خصومه المحليين بالوسائل المختلفة ، من الذكاء بحيث يستطيع الاجابة هو نفسه – لو اراد – على المنطق الذي يطرحه في مواجهة القضية الفلسطينية او في معالجة الازمة العربية الالمانية .

طبعا ، ان النصائح البورقيبيه التي هي من نوع : فلسطين بالعمل لا بالكلام ، او اعطوني خطة عمل وانا مستعد لارسل الجيش التونسي ، او فلسطين هي قضية العرب جميعا ، انما نصائح مشكورة تنزل في النفس مع مثيلاتها من العموميات والعميات التي تعود عليها الشعب العربي .

ولكن الرئيس التونسي طلع بمجموعة افكار ونصائح اكثر تفصيلا خلال جولته الى العواصم العربية ، وهي التي تثير التساؤل والنقاش .

بخصوص فلسطين يقول الحبيب بورقيبة خلاصة: يجب ان يتعود العرب واليهود ان يعيشوا بسلام . وان العرب الآن هم في وضع المغلوب ولذلك يجب ان تنحصر محاولتهم ليس في العمل لكي يصبحوا غالبين بل لكي لا يظلوا مغلوبين . وهذا يتم على مراحل ومن خلال مناورات بارعة تعتمد على انتهاز الفرص «وزحلقة» العدو وحشره حتى يضطر الى الاستسلام .

وتعابير انتهاز الفرص وزحلقة العدو وحشره يجب ان لا تثير غضب اصدقاء الرئيس التونسي ، لانه هو الذي يصر على استعمالها في خطاباته ومحاضراته المختلفة في مجال الفجر والاعتزاز وشرح المذهب البورقيبي .

المهم ان بورقيبة نفسه يدرك ان طبيعة الحركة الصهيونية،بل واغتصاب فلسطين ، لا يوفر ارضا خصبة لازدهار فكرة العيش بسلام بين العرب واليهود، انما هي تعطي التأكيد اليومي المستمر على ان الصراع فوق الارض الفلسطينية مجبول بالدم ومرتبط بالمصير العربي كله ، وانه لن ينتهي حتى بعودة العرب الى فلسطين بل بعودة فلسطين الى العرب . ولن يتوقف حتى ولو اصبح العرب غير مغلوبين ، بل سيستمر الى ان يصبحوا غالبين . اما حكاية المراحل والاعتماد على المناورات البارعة ، فان الرئيس التونسي لا بد ان يسمح للشعب العربي ان يشكك بها ، خصوصا لان الصهيونية كانت تستغل كل «المراحل» السابقة – من ايام الانتداب الى الهدنة الاولى فالثانية – لكي تقوي نفسها وتجمع قوتها وتنقض على العرب من جديد. اما محاولات «الحشر والزحلقة» فيخشى ان تنقلب على الذين يقومون بها فوق طبقة رقيقة من الجليد الهش فيحشرون شعوبهم ويزحلقون انفسهم وهم يحاولون الالتفاف حول العدو .

من يعتقد ان الذي يعجز عن سحب السفير من دولة محتلة المانيا الغربية

ومع ذلك ، اذا سلمنا بسياسة المراحل والمناورة ، واتخذنا المرحلة الحالية – مرحلة الازمة العربية الالمانية مثالا على الطبيعة ، نجد ان الموقف التونسي لا ينسجم تماما مع «حشر» العدو ، بل يعطيه مجالا للتنفس والارتياح .. والشماتة .

ولندع جانبا ترحيب الصحف «الاسرائيلية» بالموقف التونسي،ولنتأمل هذا الموقف «المرحلي» ..

● الحجة الاولى باختصار : ان المعركة محصورة بين الجمهورية العربية المتحدة والمانيا الغربية ، وليس لبقية الدول العربية علاقة بها . الجواب ، بالاختصار : اذا كانت الحكومة التونسية ترى ذلك ، فان المانيا الغربية نفسها تخالفها الرأي بدليل انها لم «تعاقب» الجمهورية العربية المتحدة وحدها عند اعلان الرغبة في الاعتراف «باسرائيل» بل صوبت ضربتها الى العرب جميعا ... اذا كان الرئيس التونسي لا يرى في الاعتراف «باسرائيل» مشكلة محصورة بالجمهورية العربية المتحدة دون بقية العرب .

● الحجة الثانية باختصار : ان المشكلة كانت في شحن السلاح الاسرائيلي ، وانه ما دامت المانيا الغربية قد تراجعت عن ذلك ، فان الموقف الآن يعتبر «نصرا مبينا» للعرب، على حد البيان التونسي الرسمي .

والجواب باختصار : ان شحن السلاح الالماني لم يتوقف ، الا بعد المواجهة العربية الحازمة له وعندما وجدت طريقة لشحنه عن طريق دولة ثالثة باموال المانية غربية. وقد كشفت «الصندي اكسبرس» اللندنية في عددها الاخير ان المانيا قد اتفقت مبدئيا مع بريطانيا لتبرير هذا الامر كجزء من الاموال المترتبة على حكومة بون لتحمل نفقات الجنود البريطانيين في المانيا ..

ثم ان المانيا الغربية لم تعلن فقط توقف شحن الاسلحة ، بل اعلنت في نفس الوقت استعدادها للتعويض المالي على اسرائيل وتمديد قانون معاقبة النازيين وتمديد اتفاق التعويضات الذي ينتهي في آخر هذا الشهر ... وفوق ذلك الاعتراف باسرائيل . الى ذلك كله قد يشكل «نصرا مبنيا» ولكن ليس للعرب على اي حال !

● الحجة الثالثة : ان الرئيس عبد الناصر قد تفرد في التصرف عندما رد على المانيا الغربية في خطاب عام دون ان يستشير الرؤساء العرب اولا.

والجواب : ان الرئيس التونسي هو الذي تفرد في اعلان موقف من قضية فلسطين كلها في الاردن دون ان يستشير الرؤساء العرب اولا . ثم ان الرئيس عبد الناصر قد اعلن في خطابه انه سيترك الرد على المانيا لممثلي الملوك والرؤساء العرب ، وان كان ذلك لم يمنعه من اتخاذ موقف بديهي اتفق عليه في مؤتمري القمة عندما تقرر اعادة النظر في العلاقات مع الدول الاجنبية على ضوء علاقة هذه الدول «باسرائيل» .

● الحجة الرابعة : ان قطع العلاقات الاقتصادية مع المانيا الغربية سيضر بمشاريع التنمية التي تقدم بها الدول العربية للتغلب على التخلف ، واننا «يجب ان لا نقطع انوفنا نكاية بزوجاتنا»!

الجواب : ان تمويل مشاريع التنمية ليس موقوفا على المانيا الغربية وحدها، واذا كانت تونس تتناول حوالي ثمانين

ـمور – ربما – انني جرت في واشنطن سنة ١٩٦٣ عندما كان الحبيب بورقيبة الابن ، السفير التونسي يومذاك ووزير الخارجية الآن ، يفاوض مساعدي الرئيس الاميركي الراحل جون كنيدي حول تمويل مشاريع التنمية في نفس الوقت الذي كان فيه كنيدي يبعث برسالته الى الزعماء العرب في محاولة لفتح باب حوار جديد حول فلسطين .

يومها وافقت واشنطن على تمويل قسم كبير من«مشروع السنوات العشر» ثم ترددت الاخبار عن رحلة مقبلة يقوم بها الرئيس التونسي الى المشرق العربي.

وشاء القدر ان يقتل جون كنيدي في تكساس ، كما شارت الاحداث – او يقف وراءها – ان تقطع العلاقات الاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال ربيع السنة الماضية دفع تونس الى البحث من جديد حول مصدر رئيسي آخر من مصادر التمويل والتبادل التجاري . وبالرغم من الخمسة ملايين دينار التي حصلت عليها تونس بعدذلك من الكويت ، الا ان التمويل الرئيسي اصبح في يد الولايات المتحدة التي صنفت تونس بين الدول الخمس التي تقدم لها اكبر كمية من المساعدات الخارجية ، خصوصا وان الرئيس التونسي شخصيا قد استطاع ان يكسب صداقة القنصلية الاميركية في تونس منذ ان كان مجاهدا فقط سنة ١٩٤٣ .

وخلال ذلك ، وبينما كانت بوادر الازمة الالمانية العربية تلوح في اذهان الذين خططوا لها واستعدوا لوضعها كالقنبلة الموقوتة في قلب المنطقة لكي تنفجر في وقت محدد تمهيدا لهدف مرسوم ، كان الرئيس بورقيبة يستعد برحلته المؤجلة الى العواصم العربية .

وبالرغم من ان الرئيس التونسي قد ذكر ان اهم اهداف رحلته هو شرح التجربة التونسية والظروف الخاصة التي تعانيها تونس ، ثم التعرف على افكار كل واحد من الزعماء والملوك العرب على حدة بعد ان استمع اليهم مجتمعين في مؤتمري القمة كما قال رئيس ديوانه الطيب السحباني ، الا ان الاوساط الدبلوماسية في تونس كانت تردد ان الحبيب بورقيبة يريد فوق ذلك ان يتعرف بالضبط الى المدى الذي سيسير فيه الرؤساء والملوك العرب بخصوص تحويل مياه الاردن ثم بخصوص قضية فلسطين بنوع خاص .

لقد اتخذ مؤتمر القمة الثاني مقررات واضحة حول تحويل الاردن وفلسطين . ولكن الرئيس التونسي – وبعض الاوساط الدولية الاخرى – مليون مارك من حكومة بون ، فان الدول العربية الاخرى التي وقفت موقفا اكثر تشددا منها تستطيع تناول مبالغ اكبر. ولكن مشاريع التنمية تستهدف في الاصل بناء الاستقلال الوطني على اساس متحرر وهي تصبح غلافا بلا محتوى اذا تخلت عن الكراهة الوطنية.

بل ان تونس نفسها جازفت بقطع علاقاتها الاقتصادية مع فرنسا التي كانت تشكل نصف الميزان التجاري التونسي ، عندما قررت تأميم اراضي الفرنسيين استكمالا للسيادة الوطنية. ثم ان حكومة تونس لم ترفض فقط قطع العلاقات الاقتصادية ، بل رفضت حتى الرد الدبلوماسي الذي ينحصر في سحب السفراء فقط !

● الحجة الخامسة : ان هناك الكثير من الدول التي تعترف باسرائيل ولم يقطع العرب علاقاتهم بها ، فلماذا المانيا الغربية ؟

الجواب : لان المانيا الغربية هي اول دولة تعترف باسرائيل بعد قرارات مؤتمري القمة ولانها فعلت ذلك بطريقة استفزازية ردا على معارضة العرب لشحن السلاح الى اسرائيل . ومع ذلك فهذه الحجة تدعو الى الاهتمام والتأييد . وما دام الرئيس التونسي يتحلى بالصراحة والجرأة المتناهية ، فمن المؤكد انه سيجد تأييدا شعبيا عربيا شاملا اذا بدأ بنفسه وسبق الجميع بتنفيذها .

هذه الاجوبة البديهية على تلك الحجج التي هي اقرب الى المبررات ليست بعيدة عن ذكاء الرئيس التونسي وان كانت تبدو بعيدة عن النظرة البورقيبية للامور .. خصوصا تلك ظلت تعتقد ان هذه القرارات مهرجانية وعامة اتخذت في جو اجماعي وتحت سياط الرأي العام العربي . ولذلك ، لا بد من معرفة مضبوطة ودقيقة ومستقاة من «داخل الهيكل» حول استعداد كل جهة للعمل .. او عدم العمل . ثم لا بد من «بالون تجربة» لتحسس مدى ردود النص العربية تجاه اية مقترحات ممكنة لما يسمى عادة في الاوساط الاميركية «احلال السلام والاستقرار في الشرق الاوسط».

كما ان احد «كبار» الذين رافقوا الرئيس التونسي في زيارته «الاستكشافية» الى البلدان العربية ، قال لصحفي آخر ان السماح بعرض الكتب الصهيونية في مكتبات تونس هو «تاكيد لحرية الرأي»...وكان جواب الصحفي انه يبدو ان الحكومة التونسية توفرها هذه الحرية للكاتب الصهيوني جون كيمشي اكثر من توفرها لرئيس تحرير جريدة «العمل» التونسية !

وهكذا كانت الزيارة الاستكشافية التي رافقتها مهمات اخرى – استكملت في طهران وانقره لكي لا نذكر غيرها – ثم كان «بالون التجربة» الذي اطلق في الاردن ثم تكرر في بيروت ثم تبعثر مع هبوب الرياح الشعبية العربية بعد انكشاف الموقف «الكشفي» التونسي في القاهرة .

« مراقب »

قصة عجلين !

هرب عجلان ، احدهما ذكر والآخر انثى ، فاتجها الى الشمال واخترقا حدود الارض المحتلة ودخلا الاراضي اللبنانية ساحب العجلين هو محفوظ خليفة ، من عرب الارض المحتلة المعروف بابي صلاح .

وقد استطاع شخص اسمه عطا جاسم السويد مسك العجلين وقام بتسليمهما ، حسب ما يقتضي القانون ، الى المسؤولين في لجنة الهدنة المشتركة .

رجال الهدنة المشتركة اعادوا العجلين الى الارض المحتلة حيث تسلمهما المسؤولون عن مستعمرة ادمث ..

هؤلاء المسؤولون ذبحوا العجلين ضاربين عرض الحائط بمراجعات صاحبهما محمود خليفة !

سلب اراضي جديدة لعرب الارض المحتلة

شهد عرب الارض المحتلة خلال الاسبوعين الماضيين عملية سلب جديدة لاراضيهم .

ففي اعالي الجليل صادرت سلطات الاحتلال الصهيوني ٢٠٠ دونم من ارض عرب الضهيرة اعطتها للمهاجرين الجدد من سكان مستعمرة ادمث الجديدة . وقد لجأ عرب الضهيرة الى المحاكم وابرزوا المستندات التي تثبت ملكيتهم لهذه الارض فطلبت المحكمة الاحتفاظ بهذه المستندات ثم ادعت انها لم تتسلمها .

ثم «اجازت» المحكمة ان يقوم اليهود من سكان مستعمرة ادمث بتضمين الاراضي للعرب اصحابها الاصليين مقابل اجور غير معقولة .

وقد علمت «فلسطين» ان اصحاب الارض المصادرة هم حمادة مرعي سويدان ، فارس مرعي سويدان ، حامد مرعي سويدان ، مفضي الحسن ، علي الحسن ، قاسم ابو حمدي ، شحادة ابو حمدي .

ولم تكف سلطات الاحتلال بذلك بل قامت بفرض ضرائب جديدة على الاهالي العرب ففرضت على كل غرفة ضريبة دورية مقدارها ١٠٠ قرش وعلى كل رأس ماعز ضريبة قدرها ٢٠٠ قرشا .

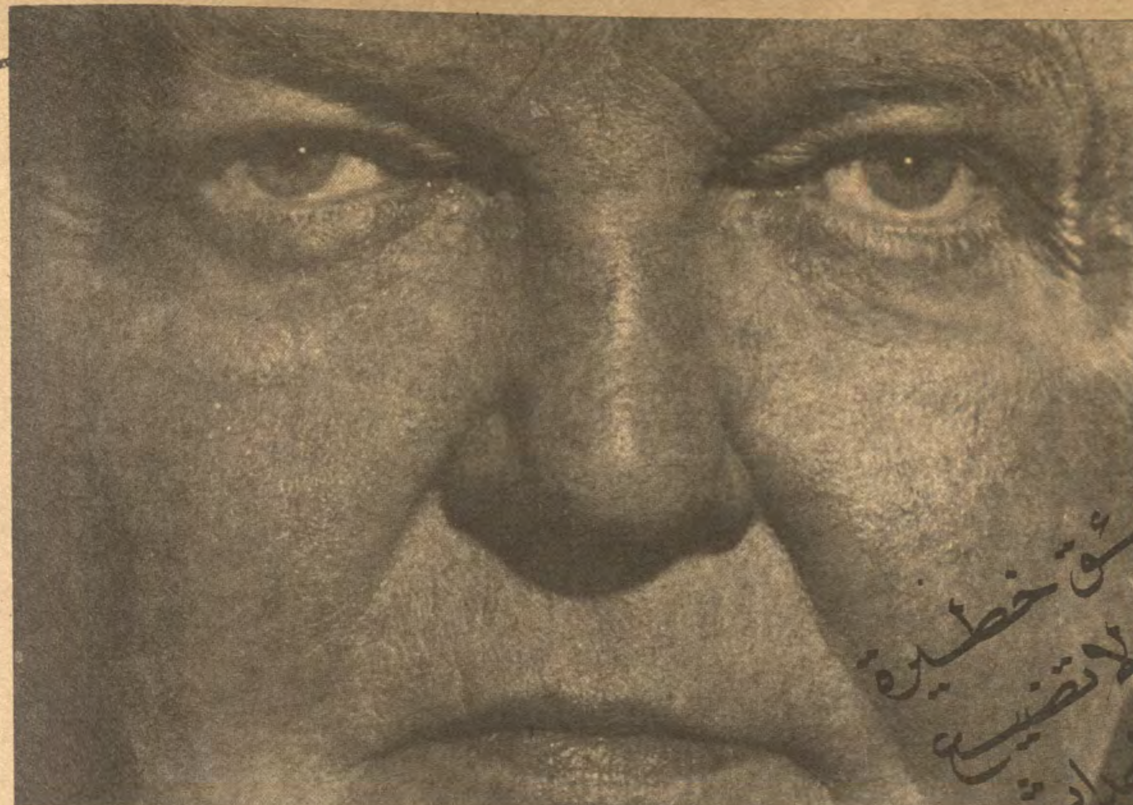

حقائق خطيرة ينبغي ان لا تضيع في زحام الاحداث

العرب واسرائيل.. والمعركة مع بون

من العوامل الحاسمة في اي معركة سياسية دولية الاطلال ببرود وموضوعية على عناصر المعركة لرئيسية والادراك النافذ للاحتمالات الكامنة وراء مواقف مختلف الاطراف . هذا الجانب التخطيطي للمعركة هو الذي يقرر نوعيه الضربات التي تسدد الى الخصم وهو الذي يقرر قوميها ، كما يقرر الهدف المنشود من تسديدها .

وعلى صعيد التخطيط للمعركة هناك سلسلة من الاسئلة الهامة التي تلح اليه طلب الجواب الواضح والمسؤول. من هذه الاسئلة : ما هو الهدف الذي نرمي اليه من هذه المعركة التي نخوضها من محور بون – تل ابيب ؟ من هو العضو الرئيسي والمحرك في معسكر العدو ... هل هو تل ابيب ... ام بون ... ام واشنطن ؟ ما هو السر الكامن وراء الصفقات الاعانية لاسرائيل ماضيا (التعويضات) وحاضرا (السلاح)؟

والاجابة على هذه الاسئلة لا يمكن ان تكون في مكانها الصميم دون ادراك بعض الحقائق الخطيرة التي كادت ان تضيع في زحمة الاحداث . هذه الحقائق هي :–

● اولا : ان حجم التعويضات الاعانية لاسرائيل ، والاقتحام الالماني «لحقل الالغام» العربي – الاسرائيلي بابرام اتفاقية السلاح السرية ... كل ذلك يشير الى وجود صفقة احد اطرافها حكام بون ... وطرفها الآخر الصهيونية العالمية بنفوذها الضاغط واسلحتها المتعددة . وان ما اعلن حتى هذه اللحظة كان يتعلق بحصة اسرائيل من هذه الصفقة ولكن ذلك لا يمكن ان يلغي وجود حصة المانية في هذه الصفقة ايضا . اذ لا يمكن لانسان عاقل ان يصدق بان المانيا العربية قد قدمت التعويضات الى اسرائيل ... ومن بعدها السلاح الثقيل ... ومن ان يكون لالمانيا الغربية مصلحة معينة في هذا كله ، خصوصا وان العلاقات الالمانية الاسرائيلية علاقات ليست طبيعية في جوهرها ... وهي قائمة اولا وآخرا على سلسلة من «العقد النفسية» التي تتحكم بالطرفين المتقابلين .

● ثانيا : الاقرب الى الواقع والمعقول ان تكون حصة المانيا من الصفقة هي مجموعة من المطامح والاهداف السياسية العليا التي تتعلق بوضع المانيا في الحاضر والمستقبل ، والتي يقررها الى حد كبير موقف الولايات المتحدة الاميركية من المانيا . ومع انه يصعب ، في مثل هذه الاحوال ، التكهن تفصيليا بماهية هذه المطامح والاهداف الا انه يبدو انها على مستوى «التمسك بوحدة المانيا» و «تسليح المانيا» و «وضع المانيا ضمن اوروبا السائرة نحو الوحدة» و «الضمان الاميركي لوضع برلين» وهذه كلها قضايا تستوعب معظم تفكير المندوبين الالمان الغربيين ... بل والشعب الالماني نفسه . ولكي يبرر اي مسؤول الماني امام شعبه تقديم التعويضات الضخمة لاسرائيل ، والولوج المغامر في حقل الالغام العربي – الاسرائيلي وتعريض الصداقة العربية – الالمانية الى ازمة محققة ... كل ذلك ليس ممكنا ما لم يكن الثمن هو الوصول عن طريق الضغط الصهيوني في واشنطن وغيرها من العواصم – الى تحقيق بعض المطامح الالمانية الاساسية المشار اليها.

● ثالثا : الولايات المتحدة طرف هام في نزاعنا مع بون ولكنها طرف غير مباشر. واذا توخينا الثقة والتحديد لقلنا ان مكان واشنطن في النزاع الراهن مع بون هو كما يلي :–

– كما اشرنا اتفاقات العلاقات بين المانيا الغربية والولايات المتحدة هي على مستوى المصالح العليا لالمانيا كدولة . ليس هذا فحسب بل ان الولايات المتحدة قادرة بمفردها على تحقيق بعض المطامح الالمانية ولا نقول جميع هذه المطامح . اذن فبامكان بون ، مستعينة بالضغط الصهيوني على البيت الابيض والكونغرس ، ان تصل الى بعض مطامحها وذلك يشكل بمفرده عنصرا كافيا لاقتحام المانيا حقل الالغام العربي – الاسرائيلي وتحمل النتائج .

– مباركة الولايات المتحدة للصفقة الالمانية – الاسرائيلية يعني وضع ثقل اميركا في الشرق الاوسط الى جانب محور بون – تل ابيب. اي ان اصدقاء واشنطن في المنطقة سيكون لهم دور معين في حال احتدام المعركة بين العرب وبون . ولم تكن محض مصادفة ان تعلن ثلاث حكومات عربية لها صداقتها القوية مع واشنطن انها تقف ضد اي اجراء عربي حاسم ضد بون .

– تيار واشنطن كمزود احتياطي للسلاح الى اسرائيل عامل له خطورته في المعركة مع بون . ولكي ندرك خطورة هذا العامل ينبغي ان نتذكر ان هناك جهات عربية لا شك في اخلاصها قد اشارت الى ان لا فائدة من معركة نخوضها ضد بون طالما ان اميركا مستعدة دوما للحلول مكانها كمزود مباشر للسلاح الى اسرائيل . اي ان الموقف الاميركي بهذا الصدد ينزع عن معركتنا مع بون عنصر النصر الحاسم في معركة تسليح اسرائيل . فتحقيق النصر على بون لن يعني ، بوجود الموقف الاميركي المشار اليه ، اننا قطعنا مورد السلاح الرئيسي عن اسرائيل . ولكنه يبقى طبعا نصرا هاما في معركة مستمرة هي معركة الوجود الاسرائيلي.

– كون الولايات المتحدة متى استطاعت دعم اسرائيل صراحة وعلانية منذ تأسيسها حتى هذه اللحظة دون ان تتعرض المصالح الاميركية في الوطن العربي الى اي ضرر من اي نوع تبعا لتلك السياسة المعادية للعرب قد شجع المانيا الغربية وغيرها على اقتحام حقل الالغام العربي – الاسرائيلي دون التخوف من ضربات عربية انتقامية ضد مصالحها في الوطن العربي .

ذلك هو دور واشنطن كطرف هام ولكن غير مباشر في المعركة مع بون .

● رابعا : اهمية المعركة مع بون ، من وجهة نظر العرب، هو تقديم الدليل الحاسم للمرة الاولى بان الامة العربية قادرة على انزال القصاص باي طرف يعاون اسرائيل في معركتها مع العرب ، مع ادراكنا الكامل بان النصر على بون لا يعني قطع السلاح نهائيا عن اسرائيل.

ان الادراك الواعي لاهداف المعركة مع بون كفيل بكشف كل الحجج الواهية التي اطلقت ضد فتح هذه المعركة وتطويرها . فنحن ندرك ابعاد هذه المعركة وما يمكن ان تقود اليه ، وبالتالي لا نحملها اكثر مما ينبغي لها ان تحمل من معاني الحسم على صعيد مصير اسرائيل . ان النصر في معركتنا مع بون ليس نهاية لصراع خطير وحاسم ضد اعوان تل ابيب ، بل هو بداية المرحلة الحاسمة التي تحمل شعار على الامة العربية ان تحدد موقفها من اي دولة على ضوء موقف هذه الدولة من اسرائيل واذا كانت الامة العربية ، لظروف خارجة عن ارادتها ، قد تاخرت في اعلان مبدأ «هالشتاين عربي» فان هذا التاخير لا يحرمها من ممارسة هذا الحق في اي لحظة .

● خامسا : المعاني الحقيقية لخروج دول ثلاث على الاجماع العربي في المعركة ضد بون هي ان في الجانب العربي عناصر معينة يمكن ان تقوم بدور «حصان طروادة» في اي معركة حاسمة نخوضها ضد اسرائيل والغرب . وهذا امر كان في نطاق الخيال الى زمن قريب ، وجل ما كنا نتوقع من هؤلاء في باب التحدي للامة العربية هو الوقوف ببرود اثناء المعركة وعدم الاسهام بها الا في قضايا رمزية لها [illegible]ها الادبية تجاه العالم . اذ ليس معقولا ان يكون الحق الى جانب العرب في معركتهم مع اسرائيل ، ومن ثم توجد ثلاث حكومات عربية لا تعرف بوجود مثل هذا الحق .

ان موقف الحكومات الثلاث من المعركة ضد بون قد يكون الاشارة الاولى الصريحة الى مولد معسكر عربي له رأي خاص في الصراع العربي – الاسرائيلي ، ولعل الحبيب بورقيبة بزيارته المعروفة ، وبتصريحاته الاستفزازية حول العلاقات مع العدو. كلها راهاصات تسبق ظهور « حصان طروادة » بشكل مكشوف ...

● سادسا : لكي لا تحجب الحقيقة وسط دخان المعركة الدائرة الآن ، فان الواجب والشرف يقتضي ان نقول بان الدولة العربية التي سيلحق بها اكثر الضرر من فتح المعركة ضد بون هي الجمهورية العربية المتحدة ... فهي الدولة العربية الوحيدة التي تلقت قروضا لها قيمة من المانيا الغربية .. في حين ان الحكومات الثلاث التي طعنت الاجماع العربي في الصميم لم تكن تحصل من المانيا الغربية على اي قروض او معنويات تليق بدولة مستقلة لانها كانت كما قال الرئيس عبد الناصر من نوع «الرشاوى الصغيرة» التي غالبا ما تذهب الى بعض «الجيوب» بدلا من خزينة الدولة .

رغما عن هذه الحقيقة التي ينبغي ان لا يحجبها دخان المعركة فان الجمهورية العربية المتحدة قد وقفت شأنها دوما وابدا ، الى جانب الحق بثوريتها الاصلية معركة الشرف ضد بون واسرائيل ... وكشفت للجماهير [illegible] ، والكرامة العربية ، فقادت عن المكان المظلم الذي كان يختبيء فيه «حصان طروادة» !!

* * *

نشاط الهستدروت في افريقيا

عندما نتعرض لدور الهستدروت في افريقيا يلزمنا الاشارة للدول الاستعمارية التي عهد للهستدروت للاستثمار في افريقيا وهذه الدول هي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وبلجيكا ..

وكان سر هذه المعاونة هو يقظة افريقيا بعد تحريرها من ضغط الاستعمار الانجلو فرنسي ونبذها لاية سيطرة امريكية نتيجة ما يعانيه الملونون من التفرقة العنصرية وقد انتهزت اسرائيل هذا الوضع فاتجهت الى الدول الاستعمارية لتسهل لها مهمتها لكي تستطيع ان تحقق غرضها وغرض الدول الاستعمارية .

واهم هذه الاهداف ان تعمل اسرائيل جاهدة على جذب الدول الافريقية الى المعسكر الغربي بالاضافة الى محاولة اسرائيل الافادة من نشاطها في افريقيا لكسب اصدقاء لها ينادون بالصلح بين العرب واسرائيل على اساس الامر الواقع ..

وازاء هذه الخطة التي ترمي اسرائيل من ورائها مساندة مصالح الاستعمار وتطبيق مصالحها التوسعية بمساعدة الهستدروت قدم الاستعمار لها عدة مساعدات اهمها تكوين صداقات بين زعماء افريقيا واسرائيل فتلقت البنوك الاوروبية والاميركية تعليمات صريحة لمنح ضمان للقروض والمساعدات التي تقدمها اسرائيل الى دول افريقيا ليسهل على منظمة الهستدروت تنفيذ هذه الاتفاقيات مع دول افريقيا من ذلك مثلا تتلقى اسرائيل سنويا نحو ٤٠٠ مليون دولار في شكل معونات كما ساهمت امريكا مع الهستدروت في انشاء المعهد الاسيوي الافريقي لابناء آسيا وافريقيا لدراسة العلوم الاقتصادية والنقابات المزوجة بالسموم الصهيونية الاستعمارية .

واستغل الهستدروت الحركات العمالية في افريقيا لان هذه المنظمات تقوم بالدور الرئيسي في بلادها جنبا الى جنب مع الحركة السياسية مما يسهل على الهستدروت توثيق علاقاتها بانشاء المعاهد منها المعهد الاسيوي الافريقي ومعهد فني صناعي وتقديم جميع وسائل الاغراء للافريقيين للدراسة في هذه المعاهد وكذلك عرض المساعدات والمنح الدراسية ودعوة زعماء افريقيا لزيارة اسرائيل والعمل على اقناعهم بالنظم المتبعة في الهستدروت كوسيلة لانجاز الاتفاقيات

هذا بالاضافة الى استخدام اجهزة الدعاية لاقناع الدول الافريقية بوجهة نظرها ولاسرائيل بالتعاون مع الهستدروت ٤٠ صحيفة باللغات المحلية الافريقية وتصدر كلها في افريقيا كما ان هناك اذاعات موجهة الى الدول الافريقية بلغاتها المحلية وتظهر اسرائيل نفسها محبة للسلام وانها عاشت مضطهدة مثلهم وخاصة الدول العربية وحصارها القاتل .

وقد استطاعت اسرائيل ان تمارس نشاطها بمعاونة الهستدروت في بعض دول افريقيا فانشأت في غانا شركة مباني غانية اسرائيلية يعمل بها ١٠٠ الف عامل غاني وكانت اسرائيل شريكة في شركة النجمة السوداء لتدريب الضباط والبحارة الغانيين بجانب نشاط الهستدروت الطبي والزراعي والصناعي .

وفي الحبشة انشأت الهستدروت مجموعة طرق في اثيوبيا وشركة الاغذية المحفوظة وتنتج ملايين العلب بملايين الدولارات بجانب انشاء اسطول بحري لصيد السمك وتستورد اثيوبيا من اسرائيل الاسمنت وعصير البرتقال والسيارات وتصدر لها البن والجلود واللحوم والحبوب .

* مرض اجتماعي ام « قومية » ؟

تكتسح مسرحية جديدة مسارح اوروبا هذه الايام ، هي مسرحية اندورا التي لاقت الشهرة منذ بدء عرضها عام ١٩٦١ في مدينة زوريخ .

لقد عرضت هذه المسرحية ١٥٠٠ مرة في اكثر من ٥٧ مدينة مختلفة في المانيا . كتب المسرحية ماكس فريش وقد اعطى دور البطولة الخارقة لطفل «اتهم» باليهودية .

ويصور الكاتب « اندورا » انها دولة صغيرة هادئة وسكانها من المسالمين الطيبين ، ويعمل المؤلف على تسليط الاضواء على اخلاقية اهل تلك الدولة فيرينا وهو يتعاطى الشرب بشكل مستمر ثم ناتي على منظر هجوم الكازاك السود على تلك الدولة وقتل الابرياء من ابنائها منذ عشرين عاما .

ثم ناتي على منظر صراخ هذا المدرس والمناقشات مع اهل المدينة حول تخليص الطفل اليهودي من القتل . ثم يعمل المدرس على تبنيه ورعايته وتربيته مع ابنته «باربولين».

وهنا نرى ان هذا اليهودي الشاب لا يشعر بالراحة بين مواطنيه حيث كان يشعر نفسيا انه ليس كالآخرين . وينتهي به الامر الى التفكير والعيش بشكل يهودي اي بطريقة غريبة، مميزة ، خاصة بالرغم من انه عرف مؤخرا انه ليس بيهودي. ويشعر ان عليه ان يتحمل للنهاية القدر الذي وجد نفسه فيه دون اختيار .

فهو غريب ، ويعيش بشكل شاذ عن اخوانه واهل مدينته ، شاذ عن محيطه ، شاذ حتى عن البيت الذي اواه. والغرفة التي سكنها ، والحنان الذي احتضنه به والده بالتبني ، والرعاية التي غمره بها والتي نما وكبر في كنفها ..

ويظل هكذا على شذوذه ، على انفراديته ، على شعوره بالغربة . وحتى حين يهاجم الكازاك البلد فانه سيموت يهوديا .

لقد كان المدرس جبانا ومندفعا في وقت واحد ، مع شيء من الضعة في تصرفه ، ولكنه بعد ان غامر في كذبته لم يعد يستطيع ان يقنع «اندري» انه ولده الشرعي .

لقد كان رأي هذا الاخير ان تمسكه بيهوديته يكسبه شيئا من التمييز، وكثيرا من التطرف والغرابة من جهة ويشبع فيه ميله الى الشعور بانه غير طبيعي ، وهذا يغذي فيه عقدة الاضطهاد التي نمت فيه حين قيل له انه يهودي .

وقد تطورت هذه العقدة عنده بشكل جعله لا يود الهرب منها او التخلص من سلبيتها تجاه نفسه ، بل فضل ان يستغلها تجاه الآخرين حتى بعد ان عرف انه غير يهودي وانه ابن شرعي لذلك المدرس.

لقد فضل التصلب وراء موقف كاذب ، اذ انه افتقد الشجاعة التي تخوله قوة مجابهة الحياة بدل استدرار عطفها ومناعة التصدي لها عوض التذلل والانكماش وخلق شعور بالشفقة والرغبة في الاحسان عند الآخرين .

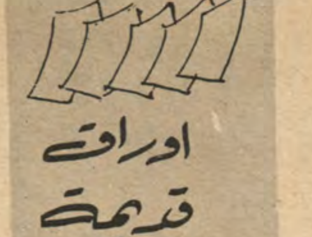

اوراق قديمة

الهجرة اليهودية الى فلسطين

فيما يلي مقاطع من مناقشة عوني عبد الهادي مع اللورد بيل كما وردت في « مجموعة شهادات العرب في فلسطين امام اللجنة الملكية البريطانية » التي جمعها عام ١٩٣٨ وطبعها في دمشق السيد جميل الشقيري .

والمناقشة حول قول اللورد بيل ان قانون الهجرة الذي سنته بريطانيا لليهود وضع باعتباره ان لا تتجاوز هجرة اليهود مقدرة البلاد على الاستيعاب (ص ١٨ – ١٩) .

★ ★ ★

عوني بك – اذن لو قدم اليهود طلبات بدخول مليون منهم الى البلاد وكان في الامكان استيعابهم اقتصاديا لوجب على الحكومة البريطانية تسير على سياسة جعل فلسطين يهودية كما ان انكلترا انكليزية . وكان الدكتور وايزمن لطيفا لانه لم يبالغ في تصريفه . ان الذي اريد الاصرار عليه هو ان تفسير البند السابع ما يفهم انه بالامكان جعل هذه البلاد يهودية وان سياسة السنوات الاربع الماضية التي سارت عليها الحكومة لا ابالغ اذا قلت انها تثبيت امكان جعل فلسطين يهودية.

واذكر ان معدل الهجرة السنوي ايام السر تشانسلور كان ثلاثة الف وسبعمائة مهاجر اللورد بيل – اي السنوات تعني ؟

عوني بك – ١٩٢٨ – ٢٩ – ٣٠

مستر رامبولد – الا يدل هذا على ان الحالة الاقتصادية كانت تبيح ذلك

عوني بك – يدل هذا على ان سياسة الحكومة زمن السر تشانسلور كانت اعقل منها الآن . وفي سنة ١٩٣٢ دخل البلاد نحو التسعة آلاف – وفي سنة ١٩٣٣ دخلها ثلاثون الفا . وسنة ١٩٣٤ دخلها ٤٢ الفا وسنة ١٩٣٥ دخلها ٦٥ الفا .

وتاهوا في البلاد

المستر موند – اظن ٦٢ الفا وليس ٦٥ الفا

عوني بك – لكن اربعة آلاف دخلوا البلاد كسياح وبقوا فيها واقول بل ضاعوا فلم يعثر احد لهم على اثر (ضحك) ومع ذلك يصعب علي انا الفرد ان اضيع في باريس او لندن بينما اربعة آلاف مهاجر يضيعون في فلسطين! وماذا يهم ما دام ان الحكومة ربحت ٦٠ جنيها عن كل واحد منهم .

رامبولد – كيف جاء الربح ؟

عوني بك – يدفع السائح عند دخوله البلاد ٦٠ جنيها ضمانة يستردها عند الخروج . ان وجود اربعة آلاف شخص كسياح في البلاد واختفاءهم معناه ان الحكومة تريد بقاءهم ولتسمح اللجنة الموقرة بهذه المناسبة ان اشير الى نفوذ اليهود ليس في لندن فقط ، ولكن على اشخاص في حكومة فلسطين. فالموظف البريطاني يخشى على وظيفته. اقول هذا وهو ما يعتقده العرب ، بل وما لمسوه .

رامبولد – هل افهم ان نفوذ اليهود يصل الى درجة اذا رفض الموظفون دخول مهاجرين يعرضون وظائفهم للخطر ؟.

عوني بك – بكل تأكيد . وتستغربون اذا قلت ان الموظف البريطاني لا يستطيع ان يفتش بيت يهودي بحثا عن السلاح لانه يخشى دائما الدعاية اليهودية وشكواهم وصياحهم ونستأنف موضوعنا :

قاعدة اهم وشرف

لا ادري كيف سن تشرشل قاعدة مقدرة البلاد على الاستيعاب قانونا للهجرة . ان الذي اعتقده ان هناك قاعدة اهم ، وهي قدرة البلاد على الاستيعاب سياسيا . فلعرب فلسطين الاكثرية في هذه البلاد وهذه الاكثرية يجب ان تظل ، وكل اخلال بوضعيتهم يضر بحقوقهم فكل اكثرية اذا طرأ على وضعيتها ما يخل بهذه الاكثرية ، يوقع الاضرار بها وحضرات اعضاء اللجنة اعلى مني بالتفاصيل .

ليس من امة تقبل تغيير وضعيتها العددية باختيارها بحيث ينقص ذلك من حقوقها ، والهجرة تغير وضعية عرب فلسطين .

لورد بيل – كيف ؟

عوني بك – كنا ٩٢ في المئة قبل وعد بلفور وانخفضت النسبة اليوم الى ٧٠ في المئة ، وليس من امة تقبل ذلك . قد يجوز ان يتم هذا بحد السيف ، اما ان يقال لنا كلوا واشربوا ونحن نؤمن لكم وضعيتكم في المستقبل فهذا ما لا نرضاه . اننا كسائر الامم لنا ثقافة ومدنية ونقر باهليتنا .

اسس الوطن القومي :

ولتسمح لي اللجنة الموقرة ببحث الاسس التي يقوم عليها الوطن القومي. واول هذه الاسس وعد بلفور وهذا الوعد تصريح . كما قيل امس ، ولذا فلا ابحثه طويلا . ليس للحكومة ان تتصرف باملاك شعب آخر وتستطيع الحكومة البريطانية ان تقطع لليهود من املاكها ما تشاء ، وليس من اخلاق او شرائع تجبر اغتصاب املاكنا ، واذا ارادت الحكومة ذلك بحد السيف فهذا امر آخر .

اللورد بيل – عندما تتكلم عن الحكومة البريطانية فهل تعني عصبة الامم ايضا .

عوني بك – اتكلم الآن عن ١٩١٧

لورد بيل – لا يمكن اقتطاع املاك الغير بغير الحرب .

عوني بك – فوعد بلفور لا يستند على اي حق كان ومعناه ان الحكومة البريطانية بما لها من قوة تريد تحقيق الوعد لنفوذ اليهود عليها . ونتقدم للاساس الثاني واعني به الانتداب ، ان اول كلمة اقولها من هذا انه باطل ، وهو يستند على المادة ٢٢ من عهد العصبة .

لورد بيل – الم نبحثه امس ؟

عوني بك – اريد التوسع بنقاط غير التي ذكرت . ان صك الانتداب عبارة عن اتفاقية بين الحكومة البريطانية والدول المشتركة في عصبة الامم .

لورد بيل – لا يجوز ان تسميها اتفاقية ، فالحكومة البريطانية عضو في العصبة انتدبت على فلسطين .

عوني بك – لكن الوكالة التي اعطيت لبريطانيا هي عبارة بينها وبين اعضاء العصبة .

لورد بيل – لا يختلف على ذلك احد .

افواج المهاجرين اليهود تتدفق على فلسطين في الثلاثينات

● ● ●

طالعوا

المحرّر

جريدة الخبر الصادق والرأي الرصين

الصهيونية في الولايات المتحدة

- استراتيجية الدعاية الصهيونية في اميركا
- الرأي العام الاميركي ليس رأيا ولا عاما
- كيف تتخلص الحركة الصهيونية من الاصوات المعارضة
- المجلة الشهرية الوحيدة ـ المجلة الدينية الوحيدة ـ المجلة الاسبوعية الوحيدة المهتمة بشؤون الشرق الأوسط يمولها الصهيونيون

في بيروت القى الدكتور فايز صايغ ثلاث محاضرات باللغة الانكليزية عن « الصهيونية في الولايات المتحدة » .

فلسطين تقدم لقرائها لاول مرة النص الكامل للمحاضرة الثانية التي تركز البحث على وسائل الدعاية الصهيونية في الوصول الى توجيه القلة القائدة في الولايات المتحدة .

قبل البدء بقراءة تلك المحاضرة القيمة من الضروري تسجيل الملاحظتين التاليتين :

اولا القى الدكتورصايغ هذه المحاضرة ارتجالا باللغة الانكليزية، ولم تتوفر بالطبع نسخة مكتوبة لها وترجمتها « فلسطين » عن شريط مسجل ـ ان هذه الملاحظة يجب ان تكون في الذهن حين قراءة المحاضرة فالدكتور صايغ لـم يكتب المحاضرة المنشورة ادناه بالعربية ، ولكنه القاها باللغة الانكليزية .

ثانيا : القى الدكتور صايغ هذه المحاضرة في جمهور غالبيته من الاجانب ولذلك فان هذه المحاضرة موجهة بالاساس الـى مستمع غير عربي ـ ملاحظة ثانية من الضروري ان لا تغيب عن ذهن القارىء .

هـذا وستحاول فلسطين ان تقدم ترجمة اخرى للمحاضرة الثالثة التي تتناول ازدواجية ولاء اليهودي الاميركي في عددقادم.

(فلسطين)

الرئيس جمال عبد الناصر

تعمل أجهزة الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة وفق استراتيجية مـن مبـدأيـن :

المبدأ الاول : الربط المستمر بين الوسائل الدعاوية وبين طبيعة التركيب الاجتماعي في الولايات المتحدة هذه الاستراتيجية التي تنتهجها أجهزة الدعاية الصهيونية تتميز دائما عن مفهوم الدعاية التقليدية التي كثيرا ما تكون سطحية الفعالية والتاثير .

لايضاح ذلك لا بد من شرح المبدئين اللذين تسير عليهما الدعاية الصهيونية كما لا بد ايضا من عقد مقارنة سريعة بينها وبين الاسس الدعائية التقليدية وبصورة خاصة الدعاية العربية .

حسب المبدأ الاول ـ الربط بـين الخط الدعاوي والهدف السياسي في المجتمع المستهدف

ليس مهما من وجهة نظر الدعاية الصهيونية تقديم الصور الزاهية والمزركشة عن اسرائيل ، فهذا ليس هدفا بحد ذاته كما قد يكون راسخا في بعض القناعات الى الآن ، فالدعاية ليست الا وسيلة ، ووسيلة مرنة لخدمة الاهداف السياسية وهذا ما جعل الدعاية الصهيونية تنمو وفق أسس خاصة ـ غير الاسـس الدعاوية المجردة ، فالقادة السياسيون في اسرائيل هم قمة الهرم الدعاوي الصهيوني ، وهم موجهوه ، وصانعو مادته والمشرفون على مناهجه واساليبه .

ان هذه الميزة في غاية الأهمية في الحقيقة ، ويتبين ذلك بوضوح تام اذا ما قورنت بمفهوم الدعاية في الأوساط العربية ، لان الامر هنا على العكس تماما ، فالدعاية العربية لا تسير وفق أي استراتيجية ولا تخدم أي هدف سياسي محدد الا بمحض الصدفة . والداعية العربي غالبا ليست له أية صلات سياسية رسمية ، وعليه الحصول على معلوماته بنفسه وبوسائله الخاصة ، وان يستخلص الاهداف السياسية لوحده ، وكثيرا ما تبدو الامور أمامه غامضة ، وغالبا مـا يفاجأ بالاحداث والمواقف . ولقد عبر الصحفي الاميركي جايمس رستن عن واقع الدعاية العربية بالمقارنة مع الدعاية الصهيونية اصدق تعبير حين قال «ان الدعاية الصهيونية تسبق الاحداث بينما تلهث الدعاية العربية وراء الاحداث » .

ولنراقب من خلال هذا المقال العملي الذي استطيع تصويره بدقة ، كيف تطبق الدعاية الصهيونية هذا المبدأ ، ومـا هي أهدافها السياسية البعيدة والقريبة ، الثانية والموقتة .

ميكانيكية الدعاية الصهيونية

في اجتماع لمركز قيادي أعلى يبحث موضوع استراتيجية الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة ، تسير الامور على الشكل التالي : البند الاول سيتناول تحديد الهدف من العمل الدعاوي على اساس المصلحة الوطنية لاسرائيل وفق الهيكل التـالي :

١ ـ سياسيا وعسكريا

٢ ـ مـاليـا

٣ ـ قضية اليهود الاميركيين ـ بالذات ـ

وبعد تشريح الهدف على هذا الشكل ، سيجري البحث التفصيلي في كيفية خدمة كل ناحية بانجح الطرق .

بالنسبة للاهداف السياسية والعسكرية : حتى عام ١٩٤٨ كانت مطالب الصهيونية منها تهدف للحصول على ما يمكنها مـن اجراء تغيير راديكالي في الاوضاع القائمة في فلسطين بغية انشاء دولة اسرائيل .

ومنذ ١٩٤٨ أصبح الهدف الحصول على المساندة من أجل الحفاظ علـى الوضع القائم في المنطقة .

وبالنسبة لجمهور بعيد عن ميدان القضية ، مثل الجمهور الاميركي ، يكون اقناعه بتأييد قلب الاوضاع القائمة أكثر صعوبة من جره للمحافظة على أوضاع قـائمـة .

فلتأييد التغيير يجب اقناع الجمهور أولا بخطأ الوضع القائم ، ثانيا بصحة المشروع المقترح كبديل ، وثالثا بصحة الوسائل المقترحة . الا أنه لاقناع الجمهور المعني بضرورة الحفاظ على الاوضاع القائمة ، فـان ذلك لا يحتاج جهدا قط سوى الرد على الخصم الذي يحاول طرح فكرة تغيير الاوضاع التي اصبحت قـائمـة .

هدف الدعاية الصهيونية الحالي اذن ، منذ ١٩٤٨ هو ملاحقة الرأي العام لرفض ما يطرح عليه من افكار تنوي تغيير الاوضاع الحالية في المنطقة . أؤكد على هذا لانه يشكل التطور الاساسي الذي طرأ في السياسة الدعاوية للصهيونية.

فمنذ ١٩٤٧ و ١٩٤٨ تبدلت موضوعات الدعايـة الصهيونية في الولايات المتحدة ، وأحيلت موضوعاتها السابقة الى الاحتياطي الاستراتيجي للدعاية الصهيونيـة .

أصبحت استراتيجية الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة تعتمد على عدم فتح موضوع قضية فلسطين الا للرد علـى مـا يمكن ان تطرحه الدعاية العربية . فطرح مثل هذا الموضوع كان يثير التساؤل حول الواقع الراهن من الاساس . وليس من مصلحة الدعاية الصهيونية ان تفعل سوى تبرير الوضع القائم وتركيزه وتحصينه ، وهذا بالضبط هو هدفها الاساسي اليوم .

على هذا الاساس يمكن فهم الاهداف الرئيسية للدعاية الصهيونية . علـى ان ذلك لايعني ان الدعاية الصهيونية ليس لهـا أهداف مؤقتـة ذات طابع سياسي في الولايات المتحدة ، يوضح ذلك التنسيق المستمر بين الاجهزة التي تقرر الامور في اسرائيل وبين اجهزة الدعاية بحيث يمكن تقدير الاتجاه السياسي من خلال المراقبة الدقيقة لما يرد على لسان اجهزة الدعاية . ان تحليل مـا تذيعه الدعاية الصهيونية في أي وقـت مفيد للمسؤولين في الدول العربية بقدر ما هو مفيد لرجالات الدعاية العربية ، اذ يمكنهم من فهم وتقدير وبالتالي توقع التطورات التي ستطرأ في السياسة الاسرائيلية .

على ان هذا المبدأ يجب ان لا يعتمد كليا ، ذلك ان العلاقة بـين الدعاية المسبقة والاحداث ليست دائما بمثل تلك البساطة . فهذا السلاح له حد آخر اذ ان جزءا من الدعاية المسبقة ليس الا تغطية لتصرفات أخرى لا علاقة واضحة لها بما توجيه تلك الدعاية .

مثلا على ذلك ـ ترديد الصهيونية الدائم لطلب اسرائيل من الولايات المتحدة أن تساعد اسرائيل للتفاوض مع العرب للوصول الى اتفاقية سلام معهم . انني مقتنع ان اسرائيل لاتريد السلام في الشرق الاوسط ، وهي ترفضه على أساس الوضع القائم في المنطقة تماما كما نرفضه نحن العرب . السلام على أساس الوضع الراهن بالنسبة لنا تخلي عن حقوقنا في فلسطين ، والسلام بالنسبة لاسرائيل تخلي عن طموحها القائم بدولة اسرائيل الموعودة .

لذلك فان ما تردده الدعاية الصهيونية عن الرغبة في التفاوض مـع العرب يخفي وراءه اهدافا أخـرى . كمحاولة قطـع الطريق على مقرري السياسة الاميركية من ان يفكروا في أي حل وسط يرغم اسرائيل على التخلي عن مقاطعة معينة من الارض، أو الاعتراف بأي حق للاجئين العرب ، أو التخلي عن مدينة القدس . ان الدعاية الصهيونية تحول بذلك دون مثل هذه الحلول الوسط على اساس ان المشكلة الاساسية تنحصر في نوايا الحرب لدى العرب وان الحل هو في الضغط على العرب لقبول السلام .

قضية ضمان الحدود

والمثال الآخـر يتناول حملات الدعاية الصهيونية التي تطالب الولايات المتحدة بضمان الحدود الحالية في الشرق الاوسط . انني على قناعة تامة بأن اسرائيل لا تريد ذلك ، فالولايات المتحدة الاميركية لا تستطيع ضمان الحدود القائمة الا للطرفين معـا ، فضمانها لحدود اسرائيل مقابـل أي هجوم عربي سيرافقه ضمان للجانب الآخر ايضا ، وهذا ما لا تقبل به اسرائيل . فاسرائيل اقل تعرضا لهجوم عربي منها لقيام سلطات اسرائيل بالهجوم على الاراضي العربية التي تختارها وفي الوقت الذي تختاره سعيا نحـو هدفها في اقامة دولة اسرائيل الموعودة .

لذلك يجب ان لا يؤخذ دائما بظواهر الاهداف المؤقتة التي تعبر عنها الدعاية الصهيونية . وانما كقاعدة يجب البحث عن علاقتها الجدلية باهداف اسرائيل الدائمة . هذا كل ما أود قوله عـن الجزء الاول من استراتيجية الدعاية الصهيونية ، لانه ،كما أظن ، ليس الجزء الأساسي .

المبدأ الثاني

الجانب الاهم في استراتيجية الدعاية الصهيونية هو تكييفها لوسائل عملها وفق البناء الاجتماعي في اميركا ـ ان على محترف الدعاية ان يعرف المجتمع الذي يعمل فيه وان يخاطب مراكز القوة في هذا المجتمع منذ اللحظة الأولى .

بمهما بلغ طموح اجهزة الدعاية ومهما كانت مواردها ضخمة ، فلن تستطيع تغطية كل اطراف المجتمع الذي تتجه نحوه .

ان الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة في مقدمة اجهزة الدعاية ، لذلك فهي تستطيع اختيار الاهداف الاساسية والاهداف الثانوية والاهداف الاقل اهمية انها تستطيع تعيين مراكز القوة والتاثير في المجتمع الاميركي ، وتعرف مـن تخاطب واين ومتى وكيف ؟ لتصل الى افضل النتائج وأصفاها .

ان لوحة المجتمع الاميركي الجديرة بالدراسة حقا ، فضمنه يتكون ـ بطريقة ما ـ رأي عام يساهم الى حد كبير في تقرير مصير العالم . وفي يقيني ان اجهزة الدعاية الصهيونية تملك تشريحا كاملا ودقيقا وعلميا لهذه اللوحة ـ فلو عدنا الى تتبع الاجتماع المفترض للصهاينة الذي تحدثنا عنه سابقا ، لوجدنا ان البند الثاني في جدول الاعمال سيشمل ويعين مراكز القوة والضعف مراكز الفعالية الاكثر والفعالية الاقل ومراكز التاثير المعدوم . وستوزع القـوى والامكانيات على ضوء ذلك .

الرأي العام الامريكي

ان حقيقة كبيرة وواقعية يعمل على اساسها الصهاينة وهي ان الرأي العام في الولايات المتحدة ليس رايا وليس عاما !

فمنذ مدة اعد المجلس الاميركي للعلاقات الخارجية تقريرا جاء فيه :

« حوالي ربع الاميركيين يجهل حتى الان ان في الصين حكومة شيوعية ، وهي الحكومة التي كانت اميركا في حرب معها ، الحرب التي شارك فيها ابنـاء مئات الالاف من العائلة الاميركية » .. وبالنسبة للفيتنام حيث تنفق الولايات

بقلم الدكتور فايز صايغ

المتحدة اكثر من مليون ونصف من الدولارات يوميا وحيث يشترك ١٢ الـف عسكري اميركي في الحرب ، ورد في نفس التقرير ان « حوالي ربع الذيـن استجوبوا لاعداد التقرير قالوا انهم لم يسمعوا قط عن القتال في الفيتنام » .

وحتى لا يشك في هذه الوقائع اشير الى ما قالته النيويورك تايمز في عرضها لتلك الدراسة ، والى تاكيد النيويورك تايمز على مقدرة واهمية مركز الابحاث في ميتشغن الذي اعد التقرير المذكور ..

ايضا نعلم من دراسة اعدتها المؤسسة الاميركية لاستطلاع الراي العـام ، انه عام ١٩٥٠ عندما كانت الحرب الكورية قائمة ، كان نصف السكـان في الولايات المتحدة لا يفهم ما معنى الحرب الباردة . وفي عام ١٩٥٥ ذكرت نفس المؤسسة ان ٣٣ بالمئة فقط من الاميركيين البالغين ، اي حوالي ١٦ بالمئة مـن سكان الولايات المتحدة كانوا يستطيعون تمييز اسم كارل ماركس ، وذلك عام ١٩٥٥ في قمة الحرب الباردة !

فالاغلبية الساحقة من السكان يجهلون المشاكل خارج بلدهم ، ولا يهتمون بمعرفتها قط . اقلية فقط من سكان اميركا يهتمون ويعرفون ، بنسب متفاوتة عن المصالح الخارجية والعلاقات الخارجية . ومن هذه الاقلية نسبة ضئيلة جدا تؤثر في صياغة راي في تلك الامور ..

من الذي يؤثر ؟

منذ عشر سنوات قال كوينسي رايت من جامعة شيكاغو الخبير في العلاقات العالمية ، في كتابه « دراسة العلاقات الدولية » ، ما يلي :

العناصر التي تؤثر في علاقات اميركا الخارجية هي : « الراي العام الجاهل ولكن المؤثر ، الجمهور المهتم والواعي ، النخبة من اصحاب الراي والتوجيه ، والقيادة الرسمية » . ويذكر ان ثلاثين مليونا على الاكثر من اصل المئـة والخمسين مليون الذين تهمهم سياسة اميركا الخارجية (أي حوالي ٢٠ بالمئة فقط) يمكن اعتبارهم ضمن الجمهور المهتم . ولا تتجاوز النخبة المشار اليهـا المليون والنصف (واحد بالمئة) . ومن الصعب ان يكون اكثر من الف ونصف (اي واحد من الف من واحد بالمئة) في دوائر الشؤون الخارجية المسؤولة .

اما الفرد هيرو ، في كتابه « الاميركيون في الشؤون العالمية » فيعرض للتمييز بين هذه المستويات اربعة اسس : الاهتمام ، المعلومات ، التحليل الواقعي ، والارتباط بنشاط عملي . ويستخلص ان واحد بالمئة فقط مـن الاميركيين يجمعون بين نسب عالية من هذه الامور .

الا ان هذه الدراسات مهما اختلفت في تفاصيلها فهي لا تختلف في ان هناك ثلاثة قطاعات من الرأي العام الاميركي : الاغلبية الساحقة التي لا تهتم ولا تعلم ، والاقلية التي تعرف بعض الشيء وتهتم بنسب متفاوتة ، والاقلية الضئيلة جدا التي تقود وتصنع رأي الاقلية المهتمة .

اذن لا يمكن الوصول لعقول المئة والتسعين مليونا من الاميركيين جميعا ، ولذا سيكون الاهتمام الاول منصبا نحو القيادة التي تصنع الرأي في السياسة الخارجية ، نحو الالف والنصف او الخمسة عشر الفا المئية (لا تختلـف الاحصائيات ، انما الحال واحد) . ومن خلال هؤلاء يكون التوجه الثانـوي نحو الاقلية المهتمة ، ومن خلال هذين المستويين يمكن التاثير في الرأي العام الاميركي . هذا السياق في العمل يكلف مجهودا اقل ، وفي سياق زمني ممكن التطبيـق .

وبما ان الموضوع حصر في الاهتمام بالاقلية التي تصيغ الخط السياسي مع بعض الاهتمام بالاقلية المتابعة للامور من خلال الاقلية الضئيلة الاولى ... فانني اظن ان الخطوط التي يتوجه فيها الصهاينة ثلاثة : أولا ـ اسكات كل صوت معادي بين النخبة المحدودة التي تقرر السياسة العامة ، ثانيا ـ التغلغل بين هذه النخبة ، ثالثا وبعد تحقيق الخطوتين السابقتين ، تحديد تفكير هذه النخبة بشكل مذهبي .

التخلص من المعارضة

أمـا الخط الاول فليس صعبا بالنسبة للاسرائيليين لان الخصوم الذين يجب عزلهم قليلون جدا ، وهناك وسائل متفاوتة للتخلص من تلك العناصر . واذكر هنا دوروتي تومبسون ، التي كانت من اشجع دعاة الرأي العام . وكانت أول أميركية غير يهودية تدين هتلر بسبب اضطهاده لليهود ، ففي عام ١٩٤٩ ، وكانت قد وصلت الـى قمـة شهرتها كصحفية ، دعتهـا السفارة الاسرائيلية في الولايات المتحدة لزيارة اسرائيل للتاكد من أن موضوع اللاجئين مجرد كلام دعاوي . ومن هناك اتجهت للاردن ، ورأت ، على الطبيعة ، اللاجئين العرب . وعادت مصرة على دفع ثمن التذكرة للسفارة الاسرائيلية التي سبق وأمنت سفرها ، وأصرت علـى أن قضية اللاجئين وقضية العدالة يجب ألا تكبت .

وكتبت تقول : «انني أعلم ان الكثيرين من اصدقائي ، الذين يعلمون أنني أول غير يهودية هاجمت اضطهاد هتلر لليهود ، لن يستطيعوا اتهامي باللاسامية وانا اتحدث عن اللاجئين العرب . »

ورغم اعتدال مقالاتها ، وهذا ، كان شعوري كعربي حينئذاك ، فان كتابات دوروتي تومبسون التي انتزعت شهرتها بمناهضتها اللاسامية ، وبامتلاكها لضمير حر لا يباع ، اسقطت في اقل من عام من ستين من اهم الصحف الاميركية ، وذلك من أصل ١٢٣ صحيفة كانت تنشر مقالاتها .

بعد الصدمة التي تلقتها دوروتي تومبسون اتجهت لايجاد مؤسسة اصدقاء الشرق الاوسط .

اما في الاوساط الدراسية فان كبت الاصوات المعادية يتخذ شكلا اشد شراسة . اعرف استاذا عربيا متخصصا بشؤون الشرق الاوسط كانت قد دعته احدى الجامعات للاشراف على تدريس العلوم المتعلقة بشؤون الشرق الاوسط فيها . وعندما أعلن عـن ذلك ، تحرك الصهاينة ، وعلى مـا يبدو صدرت التعليمات للدوائر الصهيونية في تلك المنطقة بالعمل على عدم السماح لذلـك الاستاذ بالاقامة في حرم الجامعة . وأرسل أحدهـم رسالة لرئيس الجامعة يستهجن فيها تعيين ذلك المدرس ، مدعيا ان ذلك المدرس يقوم بدعاية لاسامية من خلال محاضراته في الجامعة ، والذي تبين فيما بعد ان المدرس المذكور لم يكن وصل بعد الى الجامعة !

التغلغل

اما الوسيلة الثانية فهي التغلغل بين هذه النخبة .

ما سأقول عن هذا الموضوع محدود وماخوذ من تقرير السناتور فلبرايت ، وهو ليس كل ما لدي ولا يمثل كل نشاط الصهاينة ، لكنه الحد الادنى مما يمكن اثباته عن نشاطهم للتغلغل بين صفوف النخبة المقررة للرأي في اميركا .

من هذا التقرير نجد ان المجلة الاميركية الشهرية الوحيدة المكرسة محليا لشؤون الشرق الاوسط ، وهي مجلة «شؤون الشرق الاوسط » (ميدل ايسترن أفيرز) كان يتكلف بكافة مصروفاتها المجلس الصهيوني الاميركي .

والمجلة الدينية الوحيدة المهتمة كليا بشؤون الشرق الاوسط ، مجلة « لاند ريبورت » ، والتي توزع بكثرة بين كافة رجال الدين في اميركا ، يحررها المجلس الصهيوني الاميركي ، ويمولها المجلس الصهيوني الاميركي ، وتوزع وفق قوائم البريد التي يعدها المجلس الصهيوني الاميركي .

والمجلة الاسبوعية الوحيدة المهتمة بالشرق الاوسط كليا والمسماة « ايسترن ريبورت » ، ينشرها السيد ا. ل. كانون ، وهي في رايي من أهم الصحف التي تعنى بشؤون العرب وتنشر في الولايات المتحدة . يساهم المجلس الصهيوني الاميركي بضعف تكاليفها . ففي العامين الاخيرين فقط ، وحسب التقارير المقدمة الى السناتور فلبرايت ، تلقت هذه المجلة (ذات الصفحات الاربع والتي تصدر ٥٢ مرة في العام) ٣٨ الف دولارا ، وانا اعلم ان تكاليف الطباعة في اميركا لا تصل الى هذا الحد .

اما الـ« ميدل ايسترن افيرز » فقد تلقت في السنوات الخمس الماضية ٦٩،٤٥٠ دولارا .

وهكذا ، فان المجلة الشهرية الوحيدة ، والمجلة الدينية الوحيدة ، والمجلة الاسبوعية الوحيدة المهتمة بشؤون الشرق الاوسط يمولها المجلس الصهيوني الاميركي تمويلا كاملا .

عندما تحدثت عن هذا التغلغل الصهيوني لاصدقائي الاميركيين ، ظنوا ذلك من المبالغات العربية على ان المتحدث هذه المرة ليس عربيا وانما هو فلبرايت .

هذا فيما يتعلق بالصحف واما المنظمات فالمنظمة الدينية الوحيدة العاملة بين الفئات الدينية في اميركا فيما يتعلق باوضاع الشرق الاوسط ، هي اللجنة الاميركية المسيحية الفلسطينية ، التي سميت مؤخرا الرابطة الاميركية المسيحية لاسرائيل . هذه المنظمة لا توجه فقط من قبل الصهاينة ، لكن مكاتبها تابعة لمكاتب المجلس الصهيوني الاميركي ، الاختلاف الوحيد في رقم صندوق البريد !

المجلس الوحيد غير المجالس الدينية المهتم بالشرق الاوسط هو « مجلس شؤون الشرق الاوسط » . وقد برهن السناتور فلبرايت ايضا ان المجلس الصهيوني الاميركي يمول هذا المجلس تمويلا كاملا . وبالنسبة للحياة العلمية ، فان الجماعة الوحيدة التي تعنى بدراسة الشرق الاوسط في الجامعات الاميركية ، وهي « المنظمة الاميركية لدراسة الشرق الاوسط » ، وكما تتوقعون يمولها المجلس الصهيوني . وهناك « اللجنة الجامعية لشؤون اسرائيل » التي تعقد ندوات عن اسرائيل وتنظم رحلات اليها ، وهذه ايضا يختارها ويشرف على نشاطها المجلس الصهيوني .

واخيرا ، هناك « المؤسسة الثقافية العبرية » ، التي تعرض على اضخم الجامعات الاميركية أموالها من اجل استخدام « الاساتذة المتميزين في دراسة الشرق الاوسط » .

ويدل تقرير فلبرايت ، ان تلك الاموال الغير مباشرة للجامعات هي اصلا من المجلس الصهيوني الاميركي . والنتيجة ان المؤسسات العلمية في اميركا ،

البقية ص ٨

نشأة الاتحاد العام لعمال فلسطين

نشأ الاتحاد العام لعمال فلسطين على ادراك ووعي لحقيقة الدور التاريخي الذي يجتاز عالمنا اليوم ، والذي اثبتت الايام صحة اتجاهه التقدمي لتطوير الحياة الانسانية الى ما فيه الخير والسعادة والرفاهية والاستقرار لبني البشر ، في ظل النظام الاشتراكي .. كما فرض واجب مسؤولية التغيير وعملية البناء على الطبقة العاملة والطلائع الثورية التقدمية من المثقفين الاحرار .

وعمال فلسطين .. مثلهم كمثل زملائهم العمال ، ادركوا واجبهم في عملية التغيير ، يرون وطنهم وقد احتلته قوات الصهيونية اليهودية العالمية ، وجنود الامبريالية العالمية ، بعد ان شردوا من ديارهم وارضهم وذاقوا مرارة العيش الذليل وشتى انواع الحرمان كما حرموا طيلة ستة عشر عاما من المساهمة المسؤولة في تقرير مصيرهم ومن العمل لاجل تحرير وطنهم .

وشاهدوا باسى وألم كيف كان الرجعيون العرب واتباعهم يعبثون بقضيتهم المقدسة وبكرامة ابناء شعبهم ، وايقنوا بان الاحزاب التي قامت في الوطن وانخرطوا فيها ابعدتهم بقصد او بدون قصد عن العمل الجدي لتحرير وطنهم المغتصب او الدفاع عن مصالحهم اليومية كأبناء فلسطين .

كل ذلك دفع ببعض القادة النقابيين الفلسطينيين باقامة تنظيم يجمع شتاتهم ، ويوحد كلمتهم ويقود نضالهم الى ما فيه الخير لوطنهم ولهم .

وكان لوجود الزميل حسني صالح الخفش في القاهرة وعلاقته بالحياة النقابية العمالية فرصة اتاحت له اقامة علاقات طيبة مع الامانة العامة للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب والسيد الامين العام محمد اسعد راجح الذي بدوره تبنى فكرة تنظيم عمال فلسطين ، وابدى استعداده لتأييدها ودعمها .

وفعلا ، تألفت لجنة عامة في البداية باسم اللجنة العامة لعمال فلسطين ، وذلك في اوائل عام ١٩٦٣ . وبدأت هذه اللجنة عملها باصدار نشرة اسبوعية تدعو فيها عمال فلسطين الى التنظيم والاتحاد ، وتحثهم للعمل لاجل تحرير وطنهم ، وسرعان ما بدأ العمال الفلسطينيون يستجيبون للدعوة وعلى رأسهم في معظم الاقطار القادة النقابيون الفلسطينيون سابقا ، وبعض الشباب الاحرار الذين عملوا في الحقل الوطني .

وبتاريخ ١٨/٩/١٩٦٣ تقدمت هذه اللجنة الى اللجنة التنفيذية للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب بكتاب تعلمها فيه بقيام اتحاد لعمال فلسطين ، وبطلب الانتساب الى الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب .

وفي جلسة اللجنة التنفيذية للاتحاد الدولي للعمال العرب المنعقدة في ١٧–٢٨ سبتمبر ١٩٦٣ قررت قبول اتحاد عمال فلسطين عضوا في الاتحاد الدولي ، ونص قرارها على ما يلي

«اقر المجلس قبول اتحاد عمال فلسطين في عضوية اتحاد العمال العرب ، ويشمل اتحاد عمال فلسطين عمال قطاعات غزة والاردن وسوريا وسائر العمال الفلسطينيين في البلدان العربية والاوروبية » .

وفي تقرير لمنظمة التحرير المؤرخ ٢٠/١٢/١٩٦٤ رقم ٢١–٩٩ ، ذكر الاتحاد انه اصبح يضم فروعا في كل من ج ع م ، غزة ، لبنان ، العراق ، الكويت ، المانيا الغربية ، وموجزا عن نشاطه .

وبتاريخ ٢٨/٧/١٩٦٤ عقد اجتماع لممثلي الهيئات التأسيسية لتلك الفروع في مدينة القاهرة باشراف اتحاد العمال العرب انتخب فيه لجنة تنفيذية مؤقتة ، لحين انعقاد المؤتمر الذي تقرر عقده بتاريخ ٢٧/٣/١٩٦٥ .

علاقتنا بالاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب

وقال الاتحاد في نشرة داخلية :

« ذكرنا سابقا بان بداية انطلاقنا كانت بارادتنا ، وبدعم وتأييد اتحاد العمال العرب وذلك باصدار النشرة الاسبوعية وجميع نفقات القرطاسية ، كما اتاح للبعض من اعضاء اللجنة التنفيذية السفر الى بعض الاقطار الشرقية مما افادنا بعرض قضيتنا في المحافل الدولية العمالية واقامة علاقات ودية مع كثير من الاتحادات العمالية التي ابدت استعدادها لدعم نضالنا ضد الاحتلال والاستعمار .

كما سهل الى عشرة من اعضائنا من مختلف الاقطار العربية الاشتراك في الدورة الثقافية العمالية التي عقدت بتاريخ ٢٠/٧/١٩٦٤ .

كما ساعدنا في فتح مكتب خاص لاتحادنا في النصف الثاني من الشهر التاسع ١٩٦٤ ودفع لنا نفقات الشهر العاشر ، وبعد ذلك قررنا عدم طلب اي معونة من اي جهة عربية الا من الفلسطينيين ، والاعتماد على انفسنا في تغطية نفقات مكتب الاتحاد العام والنفقات الضرورية للفروع ، ومن ذلك التاريخ ونحن نسير معتمدين على ما يدفعه الاعضاء .

ولا تزال ويجب ان تبقى علاقتنا الرسمية والاخوية على احسن وجه مع الامانة العامة لاتحاد العمال العرب وجميع الاتحادات العمالية العربية ، بل يجب ان تبذل جهود كبيرة لاقامة علاقة صداقة ومودة مع جميع الاتحادات العمالية العالمية التي تؤيد قضيتنا .

تتمة فضيحة لافون

الهاغناه تؤيد الاستفزاز ..

تطرق ديان في كتاب استقالته ، الى صفقة الدبابات من فرنسا ، والى تغيير البنادق في جيش الهاغناه ، والى صفقة أسلحة ثقيلة من المانيا ... لكن صفقة الدبابات من فرنسا كانت أبرز هذه الأمور وان لم تكن الموضوع الوحيد في نوعه ، آنذاك .

كان الأمر يتطلب اقالة لافون .

وكان تردي العلاقات بين لافون ، من جهة ، وموشه ديان وشمعون بيرس ، من جهة أخرى ، يشكل قصة جانبية بالنسبة لتردي العلاقات مع موشه شاريت ، رئيس الحكومة آنذاك .

وكانت أوساط وزارة الخارجية تصف كثرة العمليات العسكرية الانتقامية ضد العرب واتساع نطاقها بأنها أعمال استفزازية واستهتار بالمسؤولية . في حين عارضت سلطات الهاغناه هذا الوصف ، واتهمت وزارة الخارجية بأنها تعيش في جو التزلف الذي ألفه اليهود في السبي . وقال الجيش : ان وزارة الخارجية تدعو الى ان تقوم السياسة بخدمة الدعاية ، في حين ان الدعاية ملزمة بخدمة السياسة .

وعارض بنحاس لافون التقدير السياسي لموشه شاريت ، ولم يقر صلاحياته كرئيس للحكومة .

لقد كان ينظر اليه كوزير للخارجية فقط . وسمح لنفسه بأن يحد من نشاط موشه شاريت ضد عمليات الهاغناه الانتقامية ، ما استطاع الى ذلك سبيلا . من أجل ذلك حاول لافون ان يقلل من احاطة شاريت علما بعمليات الهاغناه العسكرية .

وبسرعة وجد لافون نفسه بين المطرقة والسنديان وبعد ان تعمد حجب المعلومات عن موشه شاريت ، أخذ يظن ان رئيس الاركان يحجب المعلومات عنه نفسه ، وبعد ان تعامى عن صلاحيات موشه ديان كرئيس للاركان فشرع يعبر عن الدوافع السلبية الخفية لكل أمر ، ويشك في جميع من هم حوله .

وهكذا تولدت الخلافات السياسية ، والاشتباكات الادارية ، فساءت العلاقات الشخصية ، وأوجدت جوا مشحونا بالاصطدام .

وكان موشه شاريت يتلقى معلومات مزيفة عن العمليات العسكرية على الحدود بعد حدوثها .

وقال « أحدهم » ينبغي ترميج لافون من منصبه بأسرع وقت مستطاع ، اذ ان اسلوب تفكيره ، وطراز معالجته للأمور يبرران اقالته ، واذا كانت اسرائيل ترغب في اعلان الحرب على الدول العربية فعليها ان تستعد لها .

وكان بن غوريون مريضا في مستشفى تل هاشومير ، فزاره موشه ديان . وخلال حديثهما سأله بن غوريون أتريد الحرب ؟ فأجابه ديان : انني أعارض في ان تكون اسرائيل هي البادئة للحرب . وفي الوقت ذاته أعارض في ان تتنازل عن مساحات اقليمية داخل حدود اسرائيل . أما اذا اراد العرب الحرب فانا لا أعارض الحرب .

وكان الرأي السائد في حكومة اسرائيل يدعو الى التنازل عن أي شيء قد يؤدي تنفيذه الى نشوب الحرب ، بسبب المعارضة العربية .

هذا اذا كنا زاهدين في حربهم .

وأوضح ديان هذه النقطة فقال : يجب على اسرائيل ان تحول مجرى نهر الاردن . فاذا عارضتها سوريا ومنعتها من تحويل مجراه فعلى اسرائيل ان تعلن الحرب .

رئيس الوزراء لا يعلم

ونقل ديان وجهة نظره هذه الى بن غوريون ، وغولدا مئير ، وأناس آخرين في حزب الماباي .

وفي نهاية شهر أيار من عام ١٩٥٤ تردى الوضع بين شاريت ولافون فتطور الى كراهية واجرام ، بحيث ان بن غوريون اقتنع في النهاية بوجوب تأليف لجنة وزارية لتسوية الأمور بينهما ، ولتنسيق سياستي الخارجية والدفاع .

ولفت شاريت انظار لافون الى ضرورة احاطته علما بأخبار تتعلق بشؤون الدفاع عن اسرائيل ، وكان يسمعها في راديو اسرائيل فقط ، دون ان يعلم شيئا عنها قبل اذاعتها .

ولما أدلى شمعون بيرس بشهادته أمام لجنة اولشان دوري قال : ان لافون ما كان يستشير شاريت في بعض العمليات العسكرية التي وصفها بأنها ذات صدى سياسي .

وتألفت اللجنة الخماسية الوزارية من شاريت ، ولافون ، واشكول ، وغولدا مئير ، وزلمان ازان . وفي النصف الثاني من سنة ١٩٥٤ فشلت هذه اللجنة في محاولتها التوفيق بين المدرستين السياسيتين المتنافرتين في اسرائيل . وكان فشلها احد الاسباب الحاسمة للتورط في خفايا « الحادث المخزي » .

وفي ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٥ تعرضت حكومة شاريت الى عدم الثقة فقال شاريت آنذاك : أمام اسرائيل أحد أمرين : فاما ان تكون دولة قانون ونظام ، واما ان تكون دولة قرصنة وسلب .

وفي ٢٥ منه ، صرح لافون في الكنيست بأن اسرائيل تعيش في ظل القانون الدولي المكتوب ، والقانون الطبيعي الداعي الى الدفاع عن النفس . وقد أعجب بن غوريون بهذا التصريح اعجابا كبيرا .

وفي مطلع عام ١٩٥٥ عاد بن غوريون الى الحكم ، فحاول التوفيق بين المدرستين المتنافرتين ، فدعا الى نهج اسرائيل سياسة دفاعية سلمية ، على ان يكون آمن اسرائيل فوق السلام . وعلق على تصريح شاريت الانف الذكر بقوله : «عندما تقوم دنيا العدالة: تقوم دولة القانون .. »

وبسبب تعرض اسرائيل للخطر الكثير المرتبط بعملياتها العسكرية على الحدود ، فانها كانت في البدء مضطرة لاستنزاف جميع وسائل نضالها السياسي ، غير أن فشلها وخيبة أملها في النضال السياسي ، انقلب الى بعض عناصر القوة والنجاح ، في عملياتها العسكرية .

وقد تولد الحادث المخزي وما تلاه من كوارث داخلية ألمت باسرائيل في سنة ١٩٥٤ من تعامي لافون عن صلاحيات شاريت كرئيس للحكومة .

(البقية في العدد القادم)

تتمة ص ٦ – ٧

والكنائس ، والصحافة الاميركية كلها قد تسلل اليها اناس تختارهم وتمولهم الصهيونية .

ايضا هناك « وكالة التلغراف اليهودية » التي يمولها المجلس الصهيوني والتي تتعامل مع الصحف اليهودية فقط . وقد برهن فلبرايت ان هذه الوكالة ، التي تصف نفسها في كافة معاملاتها بالمستقلة ، قد تلقت في العامين الاخيرين ٢٥٤٬٦٥٣ دولارا من المجلس الصهيوني الاميركي – كل ميزانيتها تقريبا . وقد تساءل فلبرايت عن حقيقة معنى استقلال ادارة تلك الوكالة .

مذهبة عقل القادة

اما الوسيلة الصهيونية الثالثة والاخيرة فهي مذهبة تفكير القلة المسؤولة .

وسأنقل مقاطع من تقرير المجلس الصهيوني الاميركي للوكالة اليهودية عن النشاط في هذا المجال . والتقرير من ١٢ بندا ، وورد في البند الثالث عن الطوائف المسيحية حديث عن « تنمية قادة دينيين في مراكز حساسة ، واقامة ندوات عن اسرائيل لرجال الدين المسيحيين ، واثارة مقالات ايجابية في صحافة البروتستانت والكاثوليك ، والعمل المضاد لكل حديث معادي في تلك الصحافة ، ثم اعادة طبع مقالات معينة ... الخ » .

بالنسبة للدوائر العلمية ، فهذه هي النشاطات : « مساندة المنظمة الاميركية لدراسة الشرق الاوسط ، التي ترشد الجامعات بالنسبة للتعيين والانتداب ، وتعقد مؤتمرات دراسية عن الشرق الاوسط ، ومساعدة اللجنة الجامعية لشؤون اسرائيل ، وتوزيع الموجهين في الاوساط العلمية ، والتعاون مع الكليات والجامعات في عقد ندوات عن الشرق الاوسط ، ونشر مقالات عن الشرق الاوسط في الصحافة ، والعمل المضاد للمنشورات المعادية ، وتحضير مواد لمدرسي المدارس الابتدائية والثانوية . » ولدى البحث في التقرير وجدت ما يلي : « ان اللجنة الجامعية تحضر المواد والكتب التي يحتاجها اساتذة العلوم الاجتماعية في المدارس الثانوية حول موضوع اسرائيل . »

ففي طول اميركا وعرضها يشرف المجلس الصهيوني على هذا الجزء من برامج التعليم في المدارس الثانوية .

وقد بحثت في ما هو مقصود بالعمل المضاد للمنشورات المعادية ، وسأوضح ذلك بمثل . منذ عامين جاء الى مصر اميركي نشر عند عودته عددا من المقالات عن مصر وعن الرئيس عبد الناصر ومقابلته له . وفورا اعد المجلس الصهيوني الاميركي الرد على تلك المقالات بشكل مذكرة ارسلها لكافة الزعماء اليهود في اميركا مع الرسالة التالية : « مع هذه الرسالة مواد مقترحة لاستعمالها في تحضير ردود على تلك المقالات » . وفي الفقرة الثانية : « ليس ضروريا استعمال كل هذه المواد ، استعملوا الجزء الذي تشعرون بانه اكثر تأثيرا » . وفي الفقرة الثالثة : « ونطلب ايضا ان لا تستعملوا هذه المواد بشكلها الوارد ، وانما اعادة كتابتها حتى لا تكون الردود في كل البلاد متشابهة » .

بالطبع ، لم يكن يتوقع كاتب الرسالة ان يطلع عليها فلبرايت ، وان نطلع عليها نحن بعد ذلك .

و في التقرير ايضا نصوص مقالات ينصح التقرير بعرضها على محرري الصحافة المنهمكين بالعمل بحيث لا يستطيعون التدقيق فيها عند نشرها ... وبالنسبة للكتب : « مساعدة الناشرين في تصميم الكتب القيمة » . وقد تساءل السناتور فلبرايت ساخرا : « هل حددوا يوما معنى « القيمة » ؟ . » ثم هناك تشجيع عرض الكتب الحسنة في المكاتب وتشويه الكتب غير المناسبة .

وفي البند الثاني عشر يتناول التقرير موضوع زيارة اسرائيل فيتحدث عن تنظيم رحلات الى اسرائيل يشارك فيها موجهو الرأي العام ، وتنظيم عناية خاصة في اسرائيل للزوار الاميركيين .

هذه بعض الوسائل المستعملة ضمن خط مذهبة تفكير النخبة المقررة للرأي العام في اميركا ، اضافة الى وسائل استئصال الآراء المعارضة ، ووسائل التغلغل يلاحظ بوضوح ان هذه الوسائل لا يمكن تحقيقها ما لم يتوفر في المجتمع الاميركي عنصر الاستعداد والتقبل ، وهو العنصر اللازم لتحقيق هذه الاستراتيجية بين اوساط هذه المجموعة .

اعني بذلك وجود اقلية يهودية في الولايات المتحدة تتمتع بحقوق الرعايا الاميركيين ، ولكنها تدين بالولاء لدولة اسرائيل وتتصرف على هذا الاساس .

فضيحة لافون ٢

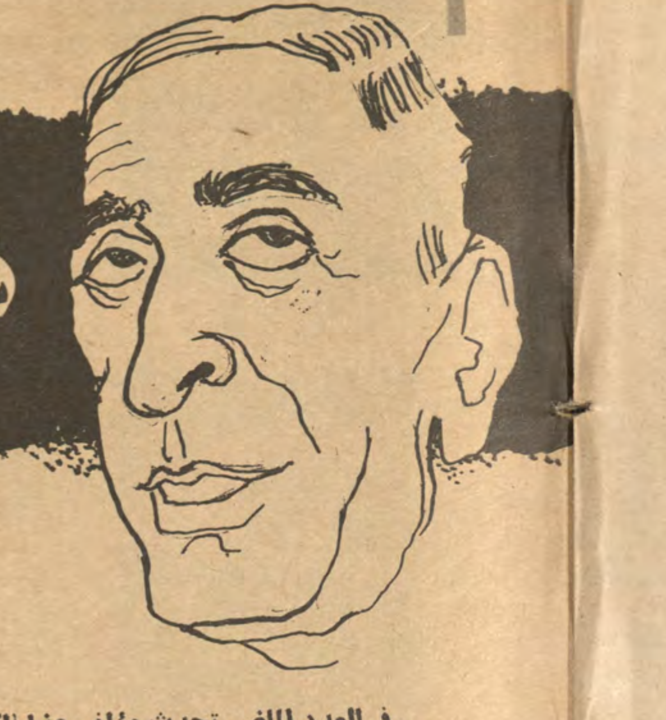

في العدد الماضي تحدث مؤلف هذا الكتاب الجديد « قصة لافون والحادث المخزي » ، الذي الفه الصحفي اليهودي حجاي ايشد ، تحدث عن الجو الذي ساد اسرائيل في اواخر ١٩٥٣ ومطالع ١٩٥٤ نتيجة لمسيرة مصر نحو اجلاء الانكليز عن اراضيها .

وتحدث المؤلف كيف ارادت اسرائيل دخول معركة مع مصر بسبب حرية الملاحة في قناة السويس وبعد ان فشلت اسرائيل على الصعيد الدبلوماسي حاولت ارسال سفينة « بت غليم » عبر القناة الا ان هذه المناورة فشلت وكسبت مصر الجولة .

والمعروف ان « الحادث المخزي » الذي يجيء ذكره في هذا العرض هو محاولة اسرائيل نسف منشآت اميركية وانكليزية في القاهرة واسكندرية لحمل الولايات المتحدة وبريطانيا على خوض معركة مع مصر تؤجل اجلاء القوات الاجنبية من اراضيها .

وفي الجزء الثاني الذي تنشره فلسطين من هذا الكتاب فيما يلي اكمال لوصف الجو السياسي والعسكري داخل سلطات الاحتلال الصهيوني والذي يكمل الصورة –

« فلسطين »

اجتهادات دايان

واستنكر موشه دايان ، رئيس الاركان آنذاك ، مشروع نقل سفينة في مضائق تيران (العقبة) ، حيث كان من المستطاع مواكبة قوة عسكرية لها ، الامر الذي يجعل مصر تقيم له وزنا ، اذ ان نقل السفينة عبر قناة السويس ، حصر النضال سلفا ضمن نطاق دبلوماسي فقط . وكانت لمصر اليد العليا في هذا النضال .

وعزز شمعون بيرس موقف موشه دايان لاعتقادهما انه لا فائدة ترجى من اثارة مطالب يستطيع الفريق الاخير (أي مصر ان يجحدها دون التعرض للخطر .

وكانت وزارة الدفاع تصطدم مع وزارة الخارجية ، لاختلاف وجهات نظرهما .

وكان موشه دايان وشمعون بيرس يفترضان ان تدخل الدول الكبرى ، سيكون ضارا باسرائيل ، لانها كانت ، في ذلك الوقت تميل الى اتباع سياسة التقارب نحو الدول العربية . فناديا بتوفير ازمة المبادرة الدبلوماسية ، ووصفاها بانها تفتح ثغرة لتدخل سلبي آخر تقوم به الدول الكبرى . ونادت اوساط وزارة الدفاع بالقيام بزمام مبادرة سياسي مدعوم باستخدام القوة او تمكين اسرائيل من استعمال القوة . وتبلور هذا الوضع عقب كثرة «عمليات التاديب» الانتقامية التي قامت بها الهاغناه ضد الدول العربية آنذاك .

وبنحاس لافون الذي كان اشد المناوئين معارضة للعمليات العسكرية ، انقلب الى اشد الناس حماسا لها منذ تولى وزارة الدفاع ، بل انه حاول ان يفوق من سبقه فكان متطرفا في حماسه للعمليات العسكرية ضد الدول العربية .

وفي شهر تموز سنة ١٩٥٤ ، وفي الايام التي اقترف بها «الحادث المخزي» بالذات ، استعرض بنحاس لافون احداث ١٢ شهرا منذ بدأ عمله نائبا لوزير الدفاع ، في جلسة عقدتها رئاسة الاركان .

وفي تلك الجلسة قال لافون : من وجهة عسكرية انجزنا في هذه السنة اكثر مما انجزنا في خمس سنوات او ست ، من عمر الدولة .

وعرف لافون كيف يقارن فصل اكثر بين حصاد العمليات التي جرت في عهده ، وبين حصادها في عهد الذين سبقوه .

وود لافون لو يزيد من حصاد عملياته العسكرية . وود ايضا لو يعززه بواقع عسكري آخر . لكنه في اللحظة الاخيرة فقط ، وبتأثير من رئيس الاركان ، خشي مغبة القيام بعمليات عسكرية كثيرة بعد ان كان قد اقرها ، وبعد ان كانت قد اجتازت بعض مراحل التنظيم . وقد اثارت لجنة « اولشان – دوري » بعض نماذج من هذه العمليات . ولما مثل لافون امام لجنة « اولشان » في سنة ١٩٥٥م للادلاء بشهادته ، حاول في البدء ان يجيب بقوله : «لا اعرف» على الاسئلة الموجهة اليه ، لكن الشهادات المفصلة التي سمعت امام اللجنة بددت انكار لافون .

ذكرت «هابوكر» ان اسرائيل روغوزين ، رجل الاقتصاد اليهودي الاميركي ، الذي يزور الآن اسرائيل ، صرح بان اقتصاد اسرائيل مبني على أسس واهية . وقال : ان اسرائيل مبذرة في انفاق المساعدات التي تلقتها من اميركا والمانيا . وقال : انه شاهد لدى زيارته الاولى لاسرائيل في سنة ١٩٥١ م مصنعا للنسيج في نهاريا شمال عكا ، باسم مصنع (آتا) . اما الآن فقد زال هذا المصنع من الوجود .

وأنهى روغوزين تصريحه بقوله : اني ألعن ذلك اليوم الذي بدأت فيه بتوظيف اموالي في اسرائيل .

استقالة دايان وشحنة الدبابات الفرنسية .

. كان تسليح جيش الهاغناه بالدبابات في سنة ١٩٥٤ في منتهى الرداءة . اما مصر فقد تلقت دبابات بريطانية من طراز « ستنوريون » . وكان العراق آنذاك يتلقى سلاحا اميركيا . وكان لدى جيش الهاغناه دبابات قديمة ومستعملة من طراز «تشيرمان» . وقد بذل الجهد الجبار ، في جميع الاتجاهات للحصول على دبابات حديثة . وفي النهاية برزت امكانية الحصول على الدبابة الفرنسية الحديثة من طراز « أ. م. اكس ١٣ » . وطبيعي كان ثمة من يؤيد الحصول على هذه الدبابة ، ومن يرفض ذلك . وبلغت مسامع لافون كلمات المعارضين لفكرة الحصول على الدبابات الفرنسية ، فتردد . قال لافون : زارني ضباط جيش الهاغناه ، بطريقة [illegible] ، وبعد ان تعهدت لهم بان يحيط رئيس الاركان علما بزيارتهم ، قالوا لي : انهم يشكون في صلاحية هذه الدبابات ، وفي حاجة الهاغناه لشرائها . وما كنت شخصيا خبيرا « أ. م. اكس ١٣ » . وبعد هذا الاجتماع السري ود (لافون) لو يلغي شراء هذه الدبابات ، ويجمدها دون ان يحيط رئيس الاركان علما بذلك . وما ان اطلع موشه دايان على الامر ، حتى رآه يمس به شخصيا . كما ان اجتماع لافون ، سرا ، ببعض ضباط الهاغناه ، الحق الازعاج الكبير بمركزه وبصلاحياته كرئيس اركان .

وفي ٣ حزيران ١٩٥٤م ، أثار دايان هذا الموضوع في اركان وزارة الدفاع . غير ان لافون تنصل من مناقشته ، وحجب عن دايان قراره بتجميد المفاوضة بشأن شراء الدبابات الفرنسية .

ثم عاد دايان فأثار هذا الموضوع ثانية في ١٠ حزيران لدى انعقاد الجلسة الاسبوعية للحكومة ، فصرح لافون بانه قرر تجميد المفاوضات بشأن شراء الدبابات . فكان هذا القرار ، والطريقة اتخذ بموجبها ، وتنفيذه ، كل ذلك دافعا لاستقالة دايان .

واكد دايان ، في كتاب استقالته ، خطيا وشفويا ، ان استقالته كانت احتجاجا على الطريقة التي لجأ اليها لافون لالغاء صفقة الدبابات الفرنسية ، بعد ان تمت الموافقة عليها ، وبعد ان شرع ينفذ شراءها .

وارسل دايان كتاب استقالته الاول الى لافون في ١٥ حزيران ١٩٥٤م ، وفيه يذكر انه فشل في الفوز بثقة وزير الدفاع ، وقال : ان ضباط الاركان يعلمون ان وزير الدفاع لا يثق به . غير ان لافون ، رفض هذه الاستقالة ، وطلب الى دايان سحبها . وكتب اليه قائلا : انني ارى لزاما علي ان ارد قولك انك لم تفز بالحصول على ثقتي ، وان ضباط الاركان ، يحيطون علما بذلك .

وهذان امران لا يرتكزان الى اساس ، وانا لم اتحدث مع واحد من ضباط الاركان عن الشؤون المتفق عليها فيما بيننا ، او عن الشؤون الاخرى التي نختلف عليها .

وعرف دايان ان تكذيبا كهذا لم يقترن بصدق واقعي . ولم ير فيه تعديلا للوضع . فكتب في اليوم التالي « ١٦–٦–١٩٥٤ » رسالة اخرى شرح فيها بتفصيل أوفى ، اسباب استقالته . فذكر انه لا يجرد وزير الدفاع من صلاحية اصدار قرار معارض لراي رئيس الاركان ، متى يشاء .

واستطرد دايان فكتب لو ان قرارات لافون حامت حول شؤون عسكرية مهنية تتصل بنوع الدبابة او البندقية اللائقة ، فعارضت توصيات دايان او الاركان العامة بهذا الشان ، لهان الخطب ، ولعلمت ان لافون يشجب ادراكي العسكري ، فاقف عند حدي . ولا ارى بالامر عدم ثقة بي . اما وان القرار يتعلق برفض الدبابات بالذات ، وبدون ان تستشيرني بالموضوع ، وبدون ان يستشار شخص آخر مسؤول في الهاغناه ، بسبب جهلك بالدبابات ، فقد كان قرارك نتيجة لتوصيات وايضاحات صادرة عن اناس آخرين ، من بينهم ضباط الاركان العامة ، الذين آثرت ان تستشيرهم بغيابي ، بدلا من ان تتصل بي وتناقشني من جديد بهذا الموضوع .

وعلى هذه الرسالة الثانية اجاب لافون بكتاب آخر فكتب الى دايان ان يسحب استقالته . وازال معارضته في شراء الدبابات الفرنسية . وقال : انه قرر تأجيل التوقيع على عقد شرائها ، دون الغاء الصفقة . ولم يشر الى اسباب معارضته الاولى لهذه الدبابات .

واخيرا انتهت القضية بحفلة غداء اقيمت يوم الجمعة في ١٨ حزيران عام ١٩٥٤م . وفيها دون دايان في مفكرته : لم نتحدث في صلب الموضوع . فقد اتضح ان لافون قد قرر عدم الابقاء على اي نزاع .

وانا حاولت انهاء الازمة . وازال لافون جميع سوء التفاهم مع شمعون بيرس ، الذي كان في الخارج .. وفي الساعة الثالثة تصافح لافون ودايان ، وذهب كل منهما الى منزله بعد ان انتهت الازمة ، لكن قضية الدبابات لم تسو .

التتمة في العدد القادم

شهادة العدو

ادعى رئيس جمعية العلاقات العامة الاميركية – الاسرائيلية ليلة امس ان ٦٬٠٠٠ طالب عربي في الجامعات الاميركية «يحاولون توجيه تفكير الاساتذة والطلبة» ضد اسرائيل .

ايضا ادعى الحاخام فيليب برنشتاين ، رئيس اللجنة ، ومكتبها الرئيسي في واشنطن ، ان وكالات الدعاية العربية وغيرها في هذا البلد قد صرفت مبلغ ١٬٧٥ مليون دولارا على الدعاية المضادة لاسرائيل «بين كافة القطاعات في الشعب الاميركي بما في ذلك الجامعات» .

في الذكرى السنوية لمنظمة الاخوة الاميركية الصهيونية ، بني صهيون ، في اوتيل نيويورك هيلتون ، تحدث الدكتور برنشتاين ، وهو المستشار السابق لشؤون اليهود لدى المسؤولين في الجيش الاميركي في اوروبا . قدم له نص يقول بان غابة من الف شجرة قد زرعت في اسرائيل باسمه تقديرا للخدمات التي قدمها «لاسرائيل ولخير الشعب اليهودي» . قدم النص الدكتور هاريس ليفاين ، الرئيس الفخري للصندوق القومي اليهودي في اميركا . وتضمن الاجتماع ايضا تنصيب ادوارد شارف ، محامي نيويورك ، رئيسا لبني صهيون .

وفي خطابه ، قال الدكتور برنشتاين ان مكتب الاستعلامات العربي لديه مكاتب اقليمية في كل البلاد تؤمن « محاضرين لمنظمات الخدمة ، ونوادي النساء ، وطقوس الكنيسة ، » في محاولة لاثارة الشعور المعادي لاسرائيل . واضاف انه في العام الماضي ، « انفق العرب ١٬٨٦٠٬٠٠٠ دولارا ، وربما اكثر » .

قال الحاخام برنشتاين ان منظمة اصدقاء الشرق الاوسط في اميركا ، «العاملين في دوائر الاعمال ، في جامعات البلاد ، في. واشنطن ، يسهلون للطلبة العرب الدعاية المركزة في الكليات والجامعات » . وقال ان فلسفة تلك المنظمة مضادة لاسرائيل ومؤيدة لناصر .

مقارنة بالمصاريف «الباهظة» المخصصة للدعاية المضادة لاسرائيل ، ذكر برنشتاين ان جمعيته انفقت ١٤٦٬٠٠٠ دولارا فقط «لنشر حقائق» الاحداث في اسرائيل والشرق الاوسط .

واعلن انه «غالبا لا يعلم الطلبة اليهود الجواب على ما يقوله اعداء اسرائيل المزودين بالمعلومات التامة . » وادعى برنشتاين ان هناك رحلات تقام لـ «مدرسين مسيحيين وطلبة الى الاراضي العربية» وان هناك «بعثات دبلوماسية عربية تعمل في كل البلاد » .

واضاف : «ثم هناك العرب الذين يحاولون ايذاء اسرائيل واليهودية بمحاولتهم جرف السناتور كينيث كيتنغ ، الذي كان حتى الآن صديقا لاسرائيل»

نيويورك تايمز

١٤/٥/١٩٦٤

العِرق والدين في الأدب الصهيوني

سيغموند فرويد

كـي تكون استشهاداتنا . في صلب الموضوع ((*)) سوف نعتمد الاعمال الادبية التي تصدت على اسس صهيونية لتأريخ قصة فلسطين ، ففي هذا المحل الحساس يمكن ان نجد مباشرة مـا يعنينا ، ليس لأننا طرف . في هـذا النطاق فقط ولكن لان الصهيونية نفسها واجهت فيه تحدياتها الموضوعية ايضا .

ان الصهيونية التي ارادت ان تجعل من كلمتي العرق والدين اصطلاحين يعنيان شيئا واحدا قد اختارت منذ البدء ان تجعل هاتين الكلمتين بالذات مقياسها الاول ليس لسلوكها فقط ولكن في محاولة لسجهما كمقياس على سلوك الآخرين ، ايضا .

وفي حرصنا على استعمال هاتين الكلمتين اوصف المزيج التي ارادت الصهيونية ان تسميه قومية اشارة يجب ان لا تهمل ابدا عن الطبيعة الخاصة والفريدة لما يسمى بالقومية اليهودية .

مع الاعمال الادبيـة الصهيونية ، سواء القديمة منهـا او الجديدة ، الميثولوجية او المعاصرة تبدو كلمتا العرق والديـن ، في معظم الاحيان ، اصطلاحان لمعنى واحد .

واذا كانت هذه الظاهرة ملفتة للنظر حقا فانها ، من ناحية اخرى ، عنوان واضح لجوهر الـدعوة الصهيونية السياسية وقاعدة من اهم قواعد هذه الحركة بالرغم من التغير في الاسماء والذي يصيبها بصورة دورية تقريبا .

انه من الواضح ان بعض مجتهدي الديانة اليهودية كانوا الاداة الاولى التي حاولت دمج كلمتي العرق والدين دمجا كاملا ، وهو أمر فعل عدد مـن مجتهدي بقية الاديان تقريبا وبوسائل مختلفة في فجر ظهورها، الا ان مجتهدي اليهود هم وحدهم ، لاسباب لا تدخل في نطاق هـذا البحث ، حرصوا على مواصلة هـذه المحاولة علـى مدار القرون واذا كانت هذه المحاولة قـد تراوحت بين الحضيض والذروة ، بين الفشل الذريع والنجاح الجزئي خلال الألفي سنة الماضية فان الذي لاشك فيـه ان نشوء الحركـة الصهيونية اعطاها دفعة جديدة ما لبث ان تبلورت بالتدريج ، وعبرت عن نفسها مباشرة وبوضوح لا يقبل الجدل بعد مرورها بتجربتيها الحاسمتين وهمـا الاضطهاد الهتلري وانشاء اسرائيل بعد حرب ١٩٤٨ .

يقـول سيغموند فرويد في كتابـه موسى والتوحيد (١) :

((لقد خلق موسى شخصية اليهود باعطائهم دينا صعد ثقتهم بانفسهم الى درجة آمنوا معها بانهم متفوقون على كـل الشعوب الاخرى ، ولقـد بقوا نتيجة هذا التفوق على الاخرين))

ويقول في مكان اخر من نفس الكتاب (٢) : ((لا شـك انهـم اي اليهود ، يمتلكون فكرة حسنة جدا عن انفسهم يعتقدون انهم انبل من غيرهم وارفع مستوى واكثر تفوقا على الاخرين .. انهم يؤسفون حقـا بانهم شعب الله المختار ويعتقدون انهم مقربون مـن الاله بصورة خاصة ، وهذا هـو مـا يجعلهم فخورين وواثقين بانفسهم))

انه ضروري ان نلاحظ كيف يتحدث فرويد عن اليهودية كدين في الوقت نفسه الذي يعطيها فيه صفات العرق وهو يعتقد بأن شعور اليهود بالتفوق العرقي ليس ناتجا عن عقدة نقص ناشئة عن الاضطهاد الذي تعرضوا له ولكن عن قناعة واقعية بالتفوق الطبيعي .

ويؤكد هذا الموقف حين يبرهن في كتاب موسى والتوحيد ان اللاسامية ذاتها ، القديمة جدا باعتقاده ، قد نشأت لكون الشعوب الاخرى تغير من اليهود لان المسيح انجب منهـم (٣) ومرة اخرى يجزم قائلا : ((نحن نعرف ان موسى اعطى اليهود شعور الفخـار لكونهم شعب الله المختار)) (٤)

ولكن فرويد نفسه ينقض هذا الموقف في رسالة شخصية كتبها الى صديقه اليهودي ماكس غراف حين ارسل له الاخير يسأله عما اذا كان من المستحسن ان يضع ابنه في مدرسة يهودية خاصة كي لا يتعرض ، اذا ما وضعه في مدرسة مختلطة ، للاسامية فكتب له فرويد يقول ان عليه ان يضع ابنه في مدرسة مختلطة ليواجه هذه اللاسامية مواجهة يومية ، ويشرح له الامر كما يلي :

((اذا كنت لا تريـد لابنك ان يكبر كيهودي فانك تجرده من منابع الفاعليه التي لا يمكن ان تعوض باي شيء آخر سوف يكون عليه ان يناضل كيهودي ، وعليك ان تنمي فيه كـل الطاقة التي يحتاجها لهذا النضال ، لا تحرمه من هذه المزية)) (٥)

ان هذا الكلام يعني ان ((الفاعلية)) وان المزيـة ((النضالية اليهودية)) و((الخصوصية اليهودية)) هي امور لا تتولد تلقائيا عـن شعور وراثي بـان اليهود هم شعب الله المختار فقط ولكن عن ممارسة يومية طابعها الرئيسي ، كما توحي رسالة فرويد نفسه ، التضاد والصراع وربمـا الاضطهاد والاحتقار ولكـن ليس عـن شعور ميتافيزيكي غيبي بالابوة والوصاية .

ان هذا التحديد ضروري جـدا ليصير من الممكن التمييز بين نوعين من الشعور بالتفوق : النوع الاول هو الفخار ، وهو شعور ، الى حد ما ، مشروع وطبيعي وعام بينما لا يتجاوز الثاني احتقار البشر والشعوب والنظر اليهم نظرة عرقية باعتبارهم يأتون ثانيا في هرم التركيب البشري .

لقد كان هم فرويد في كتابه ((موسى والتوحيد)) ان يرد الظاهرة التـي سماها التميز اليهودي الى نوع من الشعور بالفخار باعتبار ان مـوسى وضع اليهود اقرب ما يمكن الى الله والحقيقة واعتمادا على هـذا المبدأ نسب ما اسماه بالتميز اليهودي الى ((ثقة اليهود بالحياة)) (٦) والى كونه ((جزء من الدين)) (٧) وقد مضى بهذه الفكرة شوطا ابعد في كتابه اللاحق ((في اعقاب موسى)) وحملت جورج اليوت هذه الفكرة الى مدى جديد في كتابها ((دانييل ديروندا)) حين جعلت همها ان تفسر اصطلاح ((شعب الله المختار)) بانه يعني ان الله اختار اليهود لينقذوا الانسانية اي ان اختارهم في سبيل الشعوب الاخرى وقد اتكات على هذا الهدف الميتافيزيكي لتقفز الى نقطة اخرى وهي الدفاع عن حق اليهودية في ان تكون قومية .

وقد حمل الفكرة نفسها هرتزل في روايته (الارض القديمة الجديدة) حين اراد ان يبرهن بان المزج بين الدين والعرق في اليهودية تحت ظل شعار شعب الله المختار انما هو مزج تفيد منه الانسانية .

ولكن هذه الدعوة الجديدة كانت لا تقيم اي حد فاصل بين الناس الذين يعتنقون اليهودية وبين انحدارهم من سلالة واحدة ، عرقيا . وقد اضطرت الصهيونية ان تدفع هذه الفكرة شوطا جديدا الى الامام حين اصطدمت بنوعين من التحدي ظلا يواجهانها باستمرار : الاول هو انها كانت مطالبة دائما بتبرير اصرارها على رفض الاندماج بالشعوب الاخرى والثاني هـو تفسير خطواتها العملية التي كانت ترتب بدقة متناهية لتحويل اليهودية الى دولة وقومية على حساب الوجود القائم لقومية اخرى وربما لدين آخر .

لقد حاول الفكر الصهيوني السياسي ان يطوع اجوبة هـذه التساؤلات ، كعادته ، لمصلحـة حملاتـه الدعاوية والتعبوية وهكذا مضى في احيان كثيرة الى تجاهلها ، وفي بعض الاحيان الى تسجيل اجوبة مقنعة ومتبورة ، ولكن ذلك كله كان شبه مستحيل بالنسبة لمعظم الاعمال الادبية التي لـم تكن مخططة بدقة لخدمة مصلحة الفكـر الصهيوني كروايـة دانييل ديروانـد لجورج اليوت ، ورواية الارض القديمة الجديدة لهرتزل .

قبل استعراض الاعمال الادبية التي رافقت سنوات ازدهـار الصهيونيـة كفكرة وحركة ودولة يبدو انه مـن الضروري الاشارة الى كتاب صدر عام ١٩٥٥ عن دار نشر امريكية صهيونية بقلم س. د. غويتن استاذ الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية في القدس المحتلة اسمـه (اليهود والعرب – علاقاتهم عبر الاجيال) .

ان هـذا الكتاب يعتبـر توضيحا حقيقيا لجوهر ذلك المزج بين العرق والدين كما هو في مرحلته الراهنة . فهو حين يتصدى للجواب على السؤال الهام التالي : ((اذا كان العرب واليهود ينتمون الى عرق واحد .. فلماذا اتخذ تاريخ الشعبين اتجاهين مختلفين ؟)) حين يتصدى للجواب على هذا السؤال تتضح تماما ابعـاد النظرية العرقية المتطرفة الكامنة وراء المزج غير الطبيعي بين العرق والدين (٨) .

فالمؤلف لا يستطيع ، من ناحية منهج البحث ، ان يتصور اي نوع من الانفصال بين الدين الاسلامي والعرب كشعب . ولذلك فهو يحمل العرب مسؤولية السلوك القومـي للشعوب التي اعتنقت الاسلام ويحمل الاسلام مسؤولية السلوك العربي. فاذا تجاوزنا هذه الخطيئة المهلكة في منهج البحث نجـد ان محاولة المؤلـف لاكتشاف اسباب افتراق تاريخ العرب عن تاريخ اليهود ستقع ، وهو ما حدث فعلا ، في خطأ مهلك آخر . وهو ان ما اسماه بالشعب اليهودي لم يكن خلال الالفي سنة الاخيرة وحدة قومية وجغرافية وحضارية وثقافيةواحدة ليجوز احداث اي نوع من المقارنة ، وان عليه ، اذا اصر على اجراء المقارنة ، ان يعتبر اليهود عرقا .

ولذلك فـان المؤلف الذي يحاول هذه الثغرة في البحث لا يستطيع خلال البحث عن الفروق بين تاريخ الشعب العربي وتاريخ اليهود الا ان يستشهد بمميزات اليهود الغيبية الامر الذي يدفعه مباشرة الى التقرير بان تفوق اليهود على العرب ، عبر التاريخ ، انما يعود لاسباب عرقية ، لميزات مخلوقة خلقا مـع اليهود ومحرومة بالقضاء والقدر عن العرب .

فهـو يعتقد ان اسبقية الديـن اليهودي على الديانات مثلا يمكن ان تنبثق عنها اسبقية الانسان اليهودي على بقية البشر من حيث الوعي والقيمة وبصورة بهلوانية على سبيل المثـال ايضا ينسب المؤلف الحضارة العربية التي جاءت بعد الاسلام الى الاحتكاك الذي حدث بين وسط الجزيرة وبين بقايا ممالك جنوب الجزيرة ، لماذا ؟ طبعا لان احتكاكا آخر كان قد سبق ذلك هو الاحتكاك بـين ملكة سبـأ وسليمان ، اليهودي (٩) شخصيا !

ان آراء اخرى غريبة، هي في جوهرها آراء عرقية متطرفة ، يسقط فيهـا الكاتب وهو يحاول ان يوقف نظريته حول شرعية المزج بين الدين والقومية على قدميها ، فهو يعتقد ، مثلا ، ان الفرق بـين تاريخي العرب واليهود ناتج عن الفرق بـين عقلية العربي التجارية والتي لا تفهم الا بمنطـق العرض والطلب وبين عقلية اليهودي التي لا تعتمد الا على المبادىء (١٠) .

ان هذا المثل هو نموذج واحد فقط على المنطق الذي يجد اي باحث يهودي نفسه مجبرا على تبنيه حين يريد ان يتصدى للدفاع عن مزج الدين بالعرق وعن النتائج المترتبة على هذا المزج .

ان منطق اليوت وهرتزل ، وفرويد ايضا ، الذي يحاول ان يفسر اصطلاح شعب الله المختار بانه يعني اختيار اليهود في سبيل بقية الشعوب لا يمكن ان يتحمل .النتائج والاساليب التي ارتبطت عمليا وفكريا بهذا المزج اثناء تطوره الى قسم في نصف القرن الاخير.

ان الاعمال الادبية الصهيونية التي تصدت التسجيل احـداث الحركـة الصهيونية منذ بداية هذا القرن لم تستطع ، لاعتبارات عديدة فنية وغير فنية ، ان تقفز فوق كل النتائج المترتبة على المزج الكامل والمفروض فرضا بين كلمتي عرق ودين واللتين شكلتا جوهر الحركة الصهيونية ، فكيف عالجت هذه الاعمال الفنية هذا الاشكال ؟ وكيف اختارت ان تفسر مبدأ التفوق اليهودي المنبثق من المزج بين العرق والدين ؟

ان الغالبية الساحقة من الاعمال الادبية والصهيونية لم تستطع ان تقدم قيمة لاسطورة التفوق اليهودي المنبثقة من المزج بين الدين والعرق غير ان هذا التفوق هـو احتقار عرقـي لبقيـة الشعوب ، وخاصة للشعب العربي الذي كان من حظه ان يواجه الصهيونية مواجهة مباشرة ، وغير اسباغ المبالغات في البطولة ، المبالغات الجولياتية ، على كل من ينتسب الى ذلك الدمج المفتعل بين العرق والدين اليهوديين .

ان هاتين الميزتين : احتقار كل من هو غير صهيوني (الصهيوني هنا تعني الذي اختار وقبل اعتبار الدين والعرق شيء واحـد) واللجوء الى المبالغـة البطولية في وصف الصهيوني لتغطية احتياجات ذلـك الاحتقـار واعطائـه مبرراته ، ان هاتين الميزتين تكادان تكونان المحورين الاساسيين اللذيـن يديران الغالبية الساحقة من الاعمال الادبية الصهيونية المعاصرة .

وبالرغم من اننا سنبحث في نطاق الاعمال الادبية المعاصرة الا انه لا بد من التاكيد على شيء هام : ان هذين المحورين كانا دائما ، عبر معظم فترات التنفس الادبي اليهودي، سلاح الانعزال اليهودي ، والمتراس الذي من ورائه رفض معظـم اليهود مبـدأ الاندفاع بالشعوب الاخرى ، وقد حفلت الاعمال الادبية اليهودية ، حتى قبـل بروز الصهيونيـة السياسيـة ، بشواهـد دامغة ولا ترد على توفر هذين المحورين: المبالغة في احتقار الآخريـن احتقارا مبنيا على اساس عرقي والمبالغة في

اكسودس !

تيودور هرتزل

يائيل دايان

بقلم :
غسان كنفاني

امتداح الذات ، على اساس عرقي ايضا .

ان الشواهد على هذا في التلمود اكثر من ان تحصى ، والواقع ان البطل اليهودي في قصص التوراة تمتع دائما بالقوة الخارقة والبطولة التي تنتكس لحظة واحدة ، واذا كان من الممكن فهم تلك المبالغات على اساس ان الاله كان دائما يقف في صف ذلك اليهودي ، وبالتالي يشد في عضده وينجز له المعجزات فان هذا الاله ، في الادب المعاصر ، ليس موجودا بطبيعة الحال ولكن البطل بالرغم من ذلك يحتفظ بتلك القدرات غير المحدودة ليس على القتال فقط ولكن على الانتصار دائما ، ان آري بن كنعان . بطل اكسودس ، لا يقل اطلاقا ، بدنيا وعقليا عن اي بطل اسطوري من التوراة ، وحتى ((دوق)) الانسان غير الطبيعي في الرواية ذاتها هو عبارة عن قدرات غير محدودة وطاقات يستعصي على رجل واحد ان يمتلكها .

قبل بزوغ الصهيونية السياسية ، وفي الفترة التي يسميها اليهود فترة التيه لم يغب عن مسرح الادب اليهودي ذلك البطل المعصوم الذي يتمتع على الدوام بشعور واضح بالتفوق وباحتقار واضح لكل ما عداه ، والشواهد على هذا اكثر من ان تحصى بالرغم من ان روبن وولنرود يقول ان الابطال غابوا من الادب العبري خلال فترة التيه وان سبب غيابهم هو ان الكتاب ((لم يروا هدفا معقولا لهؤلاء الابطال ، فالاهداف القديمة ضاعت وليس ثمـة اهداف جديدة)) (١١) .

ففي فترة التيه هذه التي يتكلم عنها وولنرود ، وفي قمم عصورها الذهبية في الاندلس عبر ابن ميمون المعروف بمايمونيدس عن احتقاره للغة العربية بالرغم من انها اتاحت له ان يقدم انتاجا يهوديا عبرها وفي الوقت ذاته قدم يهودا حليفي، اليهودي الذي كتب بالعربية ايضا نموذجا لبطل يهودي متفوق عقليا في كتابه ((ملك الخزر)) وفي فترة التيه هذه بالذات كتب اليهود اجزاء كبيرة مـن اجتهاداتهم الدينية التـي اضحت فيمـا بعـد اجتهادات مقدسـة والتـي تحتـوي نصوصا واضحة تمزج بين الشعور بالتفوق واحتقار الآخرين مزجا هائلا .

ومع تزايد المصادر تتزايد الحجج في هذا النطاق... ان اسطورة اليهودي التائه نفسها ، التي كانت منذ البدء ترمز الى تجريم اليهود بصلب المسيح تنقلـب بعـد القـرن الخامس عشر وبالتدريـج لتضحي رمـزا لتفـوق اليهودي الذي كسب مزيدا من العقل والعلم عـن طريق تجواله الـذي لا ينقطع ، وفي مطلع القرن التاسع عشر انقلبت شخصية اليهودي التائه في الشعـر والقصة والمسرحية ((مـن شخصية مستغفر الى شخصية ثائر)) (١٢) وفي اواسط القرن دفع اليهودي جاك حليفي ((١٧٩٩–١٨٦٢)) بشخصية اليهودي التائه في اوبرا ((اليهودية)) الى صعيد عرقي ونقلها من قفص المتهم الى منبر المتهم . وتكاد لا تخلو بعد ذلك رواية اليهودي التائه او مسرحية او قصيدة من شخصية هذا اليهودي بصفته رجل افضل من الجميع ، يرمز الى الدين والعرق في آن واحد مازجا بينهما ليصل الـى اقرار بالتفـوق وباحتقار الآخرين ويصـل الامـر بـ (بار لاجركفيست) الى ان يترك بطله اهاسورس (وهو اليهودي التائه) يحاكم الاله ذاته في آخر رواية كتبت عـن اليهودي التائه (١٣) .

وقد يكون من الضروري ان ينتظر الناقد حتى عام ١٨٣٢ ليمسك الشاهد الواضح في رواية اسمها دافيد آلروي كتبها بنيامين دزرائيلي الذي صار فيما بعد رئيسا للوزارة البريطانية . ففي هذه الرواية التي كتبت آنذاك البذور الفعلية لولادة الصهيونية السياسية ، يوجد كشف حقيقي عن هذه القضية : في دافيد آلروي ((الذي يلفت النظر امر اختفائه من الاسواق العالمية في السنوات الاخيرة)) يعثر القارىء على جمل من هذا الطراز : ((العبريون هم عرق غير مختلط)) ويقرر المؤلف الذي تعتبره الصهيونية اليوم واحدا من طلائعها المبكرة انه ((ليس بوسعك ان تهدم العرق الصافي ، وهذه الحقيقة سيكولوجية ، وهـي قانون الطبيعة البسيط)) ويمضي الى ابعد من ذلك فيقول : ((ان كل شيء عرق ، وليس ثمة حقيقة اخرى)) ويرى دزرائيلي في روايته هذه ((ان مـا يعتقده الناس سلوكا فرديا ما هو الا شخصية العرق))

لقد فتحت هذه الرواية التي ارادت ان تبرهن ان اليهود هـم المؤهلون الوحيدون لقيادة الكون بوابة واسعة لاعمال مماثلة حاولت ان تضع هذا المنطق ضمن حدود تصل به الى نتيجة وقد كانت هذه الرواية بالذات سببا مباشرا من الاسباب التي دفعت جورج اليوت لكتابة روايتها الكبيرة المشهورة داينيل ديروندا ، وفي هذه الرواية وضعت اليوت قاعدة من القواعد التي التزمت بهـا الروايات الصهيونيـة اللاحقة وهي القاعدة البطولية (١٤)[1].

في القرن العشرين اضحى هـذا الاتجاه بغير ما حاجة الى عين ناقدة ، فهو موجود في الانتاج الادبي الصهيوني بصورة اوضح من ان ينصرف المرء الى التفتيش عليها موجود الى حد اضطرت وولنرود الى تقديم تفسير ، ولذلك يقول : ((ان الكاتب اليهودي يفقد كثيرا من موضوعيته بسبب شعوره الكامل بهويته ومسؤولياتها.ان القرب الشديد من الاحداث والشخصيات تعطي كتاباته حيوية ولكن تعطيها ، بنفس الوقت ، نوعا من المايوبيا)) (١٤)[2] .

وسنرى فيما بعد ان هذا الكلام غير صحيـح فالكاتـب الصهيوني يفقـد موضوعيته ليس كلمـا اقترب مـن الاحداث والشخصيات ولكـن كلمـا ابتعد عنها ، ويبدو ان هذه الظاهرة المهمة هي دليل واحد فقط على ارتطام الوهـم الصهيوني بالواقـع الماثـل وسقوطه نتيجة لهـذا الارتطام ، ان البطل اليهودي المعصوم والمتفوق يعيش عهـده الذهبـي في اعمـال الادبـاء الصهيونيين الذين لم يعرفوا فلسطين ولم يعيشوا احداث انشاء اسرائيل الفاجعه . فيما لا نستطيع ان نحصل الا على صورة مهزوزة لهذا البطل في اعمال الادباء الصهيونيين الذين ارغمتهم احداث ١٩٤٨ على التمرس بها فعلا .

ان الروايات الصهيونية التي كتبت بعد ١٩٤٨ تميزت بالميزتين اللتـين تحدثنا عنهما قبل قليل : الاصرار على بطل يهودي معصوم ومتفوق والاصرار في الوقت ذاته ، وتوضيحا للصورة ، على احتقار الجانب الآخر، اي العرب.

ان مثل هذا الانحراف في الرؤيا لا يوجد في اي نوع من الاعمال الادبية المعاصرة ، حتى في الروايات التي كتبت عن ((بطولات)) الحلفاء في الحرب الثانية وكذلك فان قصص رعاة البقر الاميركيين لا نستطيع ان تتوصل الـى مضاهاة الاعمال الادبية الصهيونية في ذلـك المستوى من انحراف الرؤيا .

ولم يحدث هذا بالمصادفة بالطبع ، فالكاتب الصهيوني يواجه حين يكتب رواية او قصة عن اسرائيل ، يواجه واقعا مزدوجا لا مناص من حل اشكالاته هذا الواقع المزدوج هو بتبريره لاعمال العنف التي هدفت الى طرد العرب مـن ناحية ، وتبريره لفكرة انشاء اسرائيل من ناحية اخرى .

بالطبع ان اية رواية صهيونية لا تخلو ، في محاولة لمواجهة هذا الواقع المزدوج من الاستعانة بسلاحين شديدي الاغراء ، اولهما التطويل في الحديث عن المذابح التي قامت بها الهتلرية وثانيهما الربط بين الصهيونية ووعود التوراة بشأن فلسطين ، ولكن هذين السلاحين يبقيان سلاحين خارجيين ، واذا كانا ، نظريا ، مرنين وعاطفيين فانه من الضروري التعامل مع اسلحة اكثر داخلية في العمل الروائي حين يبدأ ابطال هذه القصص (وهم ابطال يجيئون دائما مـن المانيا الهتلريـة بمعجزة ، تاركين في مقابرها ومعتقلاتها امهاتهم واخواتهم واصدقائهم ، وهم ابطال يحفظون التوراة – دائما – عن ظهر قلب). حين يبدأ هؤلاء بالتعامل مع اعدائهم – وهم لسوء الحظ في فلسطين ليسوا من الالمان ، ولا يحفظون التوراة غيبا – فان الحاجة الى نوع جديد من الاسلحة تصبح حاجة ملحة، وهكذا لا يجد الروائي الصهيوني مناصا من ان يجعل قضيته مع هذا العدو قضية ((جدارة)) في الحياة وفورا ينتهي المؤلف مجبرا الى الاعتقاد بان العربي هو دائما وضيع وغير انساني وخاطىء وان اليهودي هو دائما بطل وانسان وعلى صواب – فكريا وبدنيا وحضاريا

فالعربي في رواية نجمة في الريح من تاليف (روبرت ناثان) لا يلعب بعنف فقط ((ولكن بوضاعة)) (١٥) وهو جبان ويفضل ان يطلق ساقيه للريح عن ان يقاتل (١٦) واذا قاتل فليس لديه اي سبب الا النهب (١٧) وهو لا يجيد التصويب (١٨) واذا هرب ترك اخوانه القتلى دون اهتمام (١٩) وفي ص ١٤٤ يكتشف القارىء ان الطائرات العربية ، اذا اغارت ، فهي لا تقتل الا الاطفال اما في (لصوص في الليل) من تاليف آرثر كوستلو فان سكان قرية عربية كاملة هم من الاميين والبها ليل (ص١٤) وفي اكسودس من تاليف ليون اوريس توجد اكوام من الشتائم الغريبة ، ان مقاطع صغيرة ((مختارة)) تعطي فكرة عن الطريقة التي عالجت فيها هذه الرواية الشهيرة قضية العربي .

مثلا :

قال جوسي: بالنسبة للاتراك بوسعك ان تشتريهم اما بالنسبة للعرب فيجب ان نتعلم كيف نعيش معهم بسلام .

رفع ياكوف قبضة يده ولوح بها في الهواء وقال : ((شيء واحد يفهمه العربي ، انه يفهم هذا فقط)) ص ٢٤٤

ولنستمع الى هذا المقطع من ص٣٥٧ ((طرد آري من حوله جماعة مـن الصبية العرب الا ان احدهم ظـل يلاحقه :

– اتريد دليلا ؟

– لا

– تذكارات ؟ لـدي خشب مـن الصليب وفرق من الثوب

– اعرف

– اتريد صورا عارية ؟

حاول آري ان يجتاز الصبي الا ان الاخير تمسك بساقيه :

– ((ربما تعجبك اختي ، انها عذراء))

رمى آري للطفل قطعة نقود وقال له ((احرس السيارة بحياتك نفسها)) !

وفي ص ٣٦٩ هذه الجملة : ((وماذا يمكن ان يحدث لو ذهب طه (العربي) الى جوردانا (اليهودية) وقال لها انه يحبها ... سوف تبصق عليه ، حتما))!

وهذه الجملة في ص ٤٣٢ : ((لم يكن بوسع اي يهودية ان تعيش مع الانكليزي ارنولد ولم يكن بالوسع ايجاد فتـاة انكليزية وهكذا لم يبق الا امراة عربية))

وفي اكسودس نجد ان افضل شاب عربي في الرواية ، وهو كمال ، يتمتع بميزة ((ممتازة)) ليستحق عطف المؤلف وابطاله فهو يعتقد ((ان اليهود هم الخلاص الاوحد للشعب العربـي ، واليهود هم الوحيدون الذين جلبوا الضوء الى هذا الجزء من العالم في الالف سنة الاخيرة)) ص ٢٧٩ – اما الشاب العربي الآخر (طه) الذي يحظى جزئيا بعطف المؤلف وابطاله ايضا فهو من الطراز الذي يشرحه المقطع التالي :

((قال آري : رجاء ساعدني فاجاب طه : انا عربي .

– انت انسان ، انت تعرف الفرق بين الصواب والخطأ .

– انا عربي قذر !

– انت الذي تعتقد ذلك بنفسك .

– اذا كنت اخاك ، اذن اعطني جوردانا – نعم ، هذا صحيح ، اعطني اياها واتركني اخذها الى فراشي ، دعها تحمل مني اولادي .

انطلقت قبضة آري وسحقت فك طه فارسل العربي راكعا فـوق ركبتيه وراحتيه)) – ص ٥١٥ .

وفي اكسودس ، التي توقفنا عندها قليلا لانها اضحت مقياسا ونموذجا للاعمال الادبية التي نشرت معها وبعدها وقبلها ، يعيش الاطفال العرب بـلا اهداف (ص ٢٧١) واذا هاجم الرجال في ١٩٣٨ فانهم يضعون السكاكين بين اسنانهم)) (ص ٣٠١) واذا حاربوا فلان ضباطهم يجبرونهم بالقوة على ذلك (ص ٥١٨) ويدفعون لكل منهم دولارا واحدا في الشهر (ص ٥٢٠) اما حوانيت العرب فهي ((لم تكنس منذ عشر سنوات على الاقل)) (ص ٤٠٠) وزعماء العرب كلهـم جواسيس وعمـلاء ومأجورون (ص ٣٨) .

وعلى الضفة الاخرى مـن هـذه الروايات يقـف البطـل اليهودي : متفوقا معصوما لاحد لبطولته ولا ميزان لصوابه المطلق فقائد المباحث القبرصية في اكسودس يعتقد انه لا يمكن اطلاقا ان تشتري يهوديا ليكـون جاسوسا (ص ١١٥) وهو نفسه يعتقد ان اليهود في فلسطين ((في كون الرجال ... في وقعات الفطور)) (ص ١١٥) ودوق ، وهو بطل ثانوي في اكسودس ، رغم انحرافه نتيجة تعذيبه على ايدي الالمان صار احسن مزور جوازات سفر في بولونيا وهو في الثانية عشرة من عمره (ص ١٣٥) وكان قادرا وهو في العمر نفسه على مطاردة عدد كبير من الاشرار (ص ١٣٨) .

والمؤلف لا يجد نفسه غير طبيعي ، على الاقل ، حين جعل مالكولم يقول : ((ان رجالكم في الهاغناه يشكلون بلا تردد اعلى مستوى ثقافي وعقلاني ومثالي لرجل تحت السلاح في العالم اجمع)) (ص ٣٠٥) كما ان جوسي اليهودي ، من فـوق صهوة جواده ، يقوم منفردا بتاديب قبيلة بدوية كاملة عن طريق جلد زعيمها بالسوط (ص ٢٥٤) . واليهود حتـى اثناء قصف المدافع لبيوتهـم لا يستطيعون الا المواصلـة الاستماع الى الموسيقى السيمفونية والقيام بتجارب الاوركسترا (اكسودس ٥٥٨) (نجمة في الريح ص ١٥٩) وببساطة يقرر مؤلف ((نجمة في الريح)) :

((انني اتصور انه لم يعد يوجد في هذا العالم اي شجاع الا شعبنا اليهودي)) (ص ٧٧) وانه اذا كان الكاثوليكي يضع نفسه في يـد الله ويترك المعجزات للقديسين فان اليهودي يقوم باجتراحها (ص ١٥٩) وفجاة ينقلب كل ابطاله اليهود ، على اختلاف شخصياتهم ، فوق ظهر السفينة التي نقلتهم الى فلسطين الى ابطال شديدي الروعة ، اما يائيل دايان فقد قررت في كتابها طوبى للخائفين ان العرب لم يقاتلوا لانهم جبناء ((وقد انتصرنا طبعا)) (ص١٢٠)

وفي اكسودس يقوم مدبنو سفينة ارض الميعاد اليهود بهزيمة جنود مدمرتين بريطانيتين في معركة دامت ٥ ساعات استعملوا فيها خراطيم المياه والحجارة (ص ١٦٦) والقارىء لا يستطيع ان يعثر على نقطة ضعف واحدة في شخصيات الابطال الرئيسيين والثانويين اليهود في المجموعة البارزة من الاعمال الادبية الصهيونية في اكسودس تبدو هـذه الظاهرة الرائعة بشكل مضحك ، وتبدو بصورة فضائحية في ((نجمة في الريح)) اما الابطال في (الانتصار الاكبر) من تاليف لستر غورن و((الرغبة الاخيرة)) من تاليف جوزف فيرتل فهما الكمال نفسه ، وكل ما عداهما يجب ان يكون في الدرجة الثانية .

البقية في العدد القادم

((*))القيت هذه المحاضرة في النادي الثقافي العربي – بيروت ٥ / ٣ / ١٩٦٥

(١) موسى والتوحيد – ص ١٥٨ فنتاج

(٢) نفس المصدر ص ١٣٤ (٣) نفس المصدر ص ١١٦

(٤) ص ١٤٧ (٥) ((فرويد والتقاليد اليهودية الغيبية – تاليف دافيد باكمان – ص ٤٧))

(٦) موسى والتوحيد ص ١٣٤

(٧) ص ١٣٥

(٨) ص ٣٣

(٩) نفس المصدر ص ٣٦

(١٠) نفس المصدر ص ٤٠

(١١) ادب اسرائيل الحديثة ص ٨٣

(١٢) من شيلوك الى سفنغالي ص ٢٠٧ – ٢٠٨

(١٣) موت اهاسورس من ص ١٠٩ الى ١١٧

(١٤)[1]سول ليبتزن–الكتاب اليهودي السنوي ١٩٥١–١٩٥٢ ص ٤٢–٤٤

(١٤)[2]ادب اسرائيل الحديثة ص ٢

(١٥) نجمة في الريح – روبرت ناثان ص ٧١

(١٦) ص ١٦٤

(١٧) ص ١٨٦

(١٨) ص ٢٠٢

(١٩) ص ٢٠٢

جريدة
القضية الفلسطينية
الاتحاد
اللبناني
شعارها : ((في سبيل وحدة العمل الفلسطيني))
طالعوا عددها الاسبوعي الخاص
صباح الاثنين ٢٩ آذار ١٩٦٥
رئيس التحرير : جلال الترك
المدير المسؤول : جورج فرح

بلادك

المجدل

من المذاكرة

صبا القاهوم

مع اطلالة كل عيد اجد نفسي غارقة بين البطاقات ، اما كاتبة او قارئة ، فانا اهنيء الصديقات، كل الصديقات، وتردني عشرات البطاقات ، فالكثير من صديقاتي لا يعرفن عني غير الاسم والروح ، وهذان الاثنان لم يكونا في يوم من الايام نافذة يرى منها المرء دين اخيه .

وفجاة وقع بصري على رسالة هي اشبه ما تكون بالطرد ، وتسمرت عيناي على الخط الدقيق ، وكاد الاسم يلمع في ذهني كلمح البصر لولا ان استبعدته فسنوات طويلة قد باعدت بيني وبين نعمت ، فما الذي ذكرها بي الآن ؟

واجفلت عندما رنت في اذني كلمة «ذكرها بي» ... فانا لم انسها وان كانت ذكراها تغيب يوما لتعود اياما..

وعاد شريط الذكريات يمر امام عيني سريعا متلاحقا ... ذكرت سباقنا بين دروب الناصرة واصرارنا على المرور بكنيسة العذراء عصر كل يوم بعد خروجنا من المدرسة لنتبرد بجرعة ماء من بئرها المثلج ... صداقتنا مع راعي الكنيسة ، واصراري على حمل الزيت اليه مع كل موسم جديد ، وابتسامة ابي الواسعة وهو يسمعني اشترط على امي ان تملأ الطنجرة الكبيرة حتى الحافة ، وسيتدبر العم علي القيسي طريقة حملها ، ورجائي الا يدع قطرة تذهب هدرا . «الا تدري يا عم بو عرسان ان هذا زيت مقدس ! . »

ونظرت الي امي متسائلة : لم لا تفتحين الطرد لنرى ما فيه ؟...

واعادتني عبارة الوالدة الى الواقع وهرب الخيال الجميل ، وبانامل مرتجفة قطعت الخيط ونزعت الاوراق المغلفة فاذا بي امام رسالة سمينة ولفة صغيرة.. ووضعت جانبا واسرعت لافتح الرسالة ، وكانت من نعمت ...

لم تبدأ نعمت رسالتها بعبارات الشوق والحنين ... حدثتني وكاننا افترقنا البارحة لا منذ سبعة عشر عاما، عرفت ان لديها ولدين وبنتا ، من سياق الحديث عنهم .. ترى ما الذي دفعها الى الكتابة بعد هذه السنين الطويلة وكيف عرفت عنواني ؟..

وكعهدي بنعمت التي لم تدع لي يوما فرصة للتساؤل قالت :

لم انسك وان كانت الايام قد وضعت شبه ستار بيننا ، وفجأة طلعت علي في مجلة قرأتها عند الحلاق ونويت ان اتصل بك عن هذا الطريق ، ولم اجد الوقت او الدافع حتى كانت البارحة وقد بدأت باعداد الزينة والاستعداد للعيد القريب . وحضرت صغيرتي رلا تشدني من طرف ثوبي ، ولما التفت اسأل ما بها طلبت مني الانحناء لتسر لي بامر هام .. وجلست القرفصاء امامها لاستمع الى المشكلة التي حيرت الرأس الصغير ، فاذا بها تتمتم : اريد ان ادعو زينب لتمضية العيد معنا ، فهل استطيع ذلك ؟

وابتسمت مرحبة وقلت : ولم لا ؟؟ اهلا وسهلا بك وبها . وستقاسمينها الهدية .

وقطبت الصغيرة حاجبيها وقالت : لكنه ليس عيدها يا اماه فكيف تقدم لها هدية ؟..

وصدمتني العبارة حتى نسيت طفلتي ولم استمع الى اسئلتها المتلاحقة وتهالكت على مقعدي .. وفجأة رأيتك تنصبين امام عيني ولا ادري ما الذي جعلني استعيد ذكراك ، اهو بريق عينيك يوم اكتشفنا ان لكل منا عيدا يختلف عن عيد الاخرى ؟.. واشتد بنا النقاش في اي العيدين اكثر بهجة ومرحا ، وتمسكت كل منا برأيها وعلا الصراخ حتى خرجت امي تتساءل عن سبب الخلاف وجلست بيننا على عتبة الباب وطوقت كلا منا بذراع لتقول : الاعياد للجميع ..

وانتقلت الى صفحة جديدة من الرسالة السمينة واذا بالحبر المختلف يشي لي بانقطاع نعمت عن الكتابة يوما او بعض يوم وعودتها لتكملة شريط ذكرياتها ، قالت : في عشية اليوم حضر الينا «عواد النسو» اتذكرين يوم هجم منفردا على الدبابة ببندقية سريعة الطلقات ، ولما سألناه كيف يتهيب رصاص اليهود الكثير ، قهقهة عاليا وقال : انه معبأ شوكولاته لا بارودا .. وكيف وعدنا بان يفرغ جميع الرصاص ليشبعنا شوكولاته . حضر عواد وبيده قطعة من الورق ملفوفة بنفس الطريقة التي كان يلف لنا بها ابومحمد الشامي حبات البزر والفستق يوم نركض الى دكانه حالما نشتم رائحة التحميص الذكية... وحسبت انه يريد مداعبتي فاحضر لي بعضا منه ، ونظرت اليه ضاحكة ، لكنه لم يبادلني السخرية بل قدم لي الورقة باحترام يكاد يبلغ حد التقديس : انها تربة بلادنا احضرتها من الحدود يوم ذهبنا لزيارتها في الاسبوع الماضي ...

واصابتني العدوى فمددت يدي اتسلم اللفة دون ان افقه ما يقول ، وفتحها عواد ووقع نظري على ترابنا الاحمر البراق وقد ذهبت منه الحياة بذهاب أهله ، وعانقت يداي التربة الكريمة المعطاء ، التربة التي نشأنا عليها اخوة متحابين تقرع أجراسنا حزنا لتتجاوب مع صوت المؤذن اذا ما مات اي من ابناء البلد الكريم ، ويفتح محمد باب بيته ليتلقى العزاء في حنا ، تلبس ماري السواد مشاركة لصديقتها خديجة في حزنها ، التربة الطيبة التي اطعمتنا خيرا مشتركا فلم نعرف الا اننا ابناء الناصرة ، نركض في ازقتها البلطة لنذهب الى غنطوسة نختطف الشمع من غرفها عابثات ، او نجلس امام ام رجا في مطبخكم الكبير ننتظر الرقاق واصابع زينب المقلية بالزيت يوم عيد البربارة ، حتى طعام الاعياد اشتركنا فيه .

ومحت الدموع سخية سطرين لتفتح نعمت صفحة جديدة قائلة :

وفي تلك اللحظة ذكرك عواد وود لو استطاع ان يرسل لك ذرات من تراب الوطن ، ولم اجد نفسي الا امام المكتب اخط الكلمات والف الذرات ...

فهل ستنظرين اليها كما عهدتك ام قد غيرتك احداث سبعة عشر عاما يا ترى ؟؟

ووضعت الرسالة ومددت يدي الى الذرات الجافة ، وتحولت هذه بسحر ساحر الى مرج احمر انتصب في احد جوانبه شيخ مهيب يحمل في يده منديلا كبيرا ، فرش المنديل على التراب وتناول حفنة وضعها فيه واحكم ربطها ثم دفعها الي قائلا : هذه هديتي اليك في العيد يا بنية ، ذرات التراب هذه ستتحول الى سنابل يثقلها القمح لتفيض علينا خيرات وبركة ، واكمل ابي . الارض يا بنية رمز لكرامتنا ، فاذا فقدنا الارض فقدنا الكرامة ، عليها حرصك على الحياة .

وغابت الصورة لتحل محلها صورة الحياة تسامح واخوة .

فمع دقات اجراس العيد الاولى لنا مع «الهجان موعد ، فهو يحضر عكة» السمن وخراف العيد وينزل الوكيل الى «الحواصل» حيث يكيل القمح لنرسل الجميع هدية الى جيران اعزاء يحتفلون بالعيد . ونحمل الهدية الى الدير المجاور ، واناديي نعمت كي ترافقهم ، وتتسلم الام الرئيسة هدايا الجار وتربت على راسنا وتصحبنا الى احدى الغرف كدابها كل عام كي تسلمنا هدية العيد ونخرج فرحات ليعلو صراخنا بعد لحظات اذا كانت هدية احدانا افضل من هدية الاخرى بعض الشيء . وهل أنسى يوم اشتد الالم على والدي نتيجة احمرار في رجله اليمنى ، كيف حضرت الام تعوده وقد حملت زجاجة زيت مقدس ، صليت عليه ثلاث ليال واربعة ايام يا ابا دياب فادهن منه وستنال الشفاء باذن الله وياخذ الوالد الزجاجة شاكرا ويلتفت الي حال مغادرتها قائلا : لقد اوصى الله باكرام الجار فكيف اذا كان الجار مثل هؤلاء اللواتي انقطعن لعبادته ووقفن انفسهن على خدمة عبادة ؟

تتساءلين يا نعمت لم لم تنشأ رلا على غرارك ؟.. واتساءل لم لم تنشأ مهى على غراري لقد فقدنا التربة فتفككت الرابطة التي كانت تجمع بيننا لم يعد صوت المؤذن يختلط بقرع الاجراس ، ولم يعد محمد يفتح بيته ليتقبل التعازي من حنا ، ولم تعد ماري تتشح بالسواد مشاركةلصديقتها خديجة في حزنها ... لكننا سنعود للتربة الطيبة يا نعمت .. التربة التي اطعمتنا خيرا مشتركا فلم نعرف الا اننا ابناء الناصرة نركض في ازقتها المبلطة ، نشرب الماء من بئر العذراء ، وتحمل مهى الزيت لراعي الكنيسة وتدعو رلا زينب لتشاركها العيد ونقدم لها الهدية دون تفكير ؟... فالدين لله ، ونحن ابناء وطن واحد ، ننزع الشجر سوية ونزينه معا حيث تتردد هللويا مع الله اكبر ، ويعانق الهلال الصليب في الوطن السليب .

تقع مدينة المجدل في القسم الجنوبي من فلسطين تابعة لمحافظه غزة ، تبعد عن غزة ٢١ كلم و ٤٠ كلم عن مدينة يافا جنوبا .

كان يقطنها اخر ايام الانتداب البريطاني حوالي عشرة الاف نسمة كلهم عرب .

● وقفت مدينة المجدل وقفة صامدة في مقاومة الاستعمار البريطاني والغزو الصهيوني وعند نشوب معارك ١٩٤٨ تعرضت المجدل بالذات لمعارك عنيفة وصمدت في وجه غزو القوات اليهودية التي حاولت منذ بداية المعارك الفلسطينية ان تستولي على المجدل لما لها من مركز استراتيجي .

● قام اليهود بهجوم اولي من ناحية مستعمرة « غات » اليهودية يتقدمهم١٢ دبابة فاخترقوا التحصينات الامامية لعراق المنشية ، الا ان المصريين اشتبكوا مع اليهود بالسلاح الابيض واندحر اليهود .

● وفي ١٦ اكتوبر اغارت الطائرات اليهودية على المجدل وجورة عقلان والفالوجه وعراق المنشية وغزة وبئر السبع والعريش بقصد الارهاب ، وقابلهم المصريون بنيران مدافعهم ، فاسقطوا ست طائرات . واثناء القصف الجوي قام اليهود بشن هجوم بري على مفترق الطرق « طرق المجدل ـ الخليل » و « طريق غزة يافا » عند عراق سويدان وقد خسر العرب هذا الموقع في الليل .

● وفي ١٨ اكتوبر اعاد اليهود الكرة فاغارت اربع طائرات من ذوات الاربع محركات على القسم الغربي من مدينة المجدل فدمرته ، وفي المساء فقد اغارت نفس الطائرات على القسم الشرقي من المدينة وهدمت جانبا منه. وقد شاركت السفن اليهودية الراسية في البحر امام جورة عسقلان بقصف المجدل ظهرا .

ولم تنقطع غارات اليهود على المجدل من الجو في تلك الفترة وبعدهاواشتدت غاراتهم في الاسبوع الاخير من اكتوبر والايام الاولى من شهر نوفمبر .

وهكذا سقطت مدينة المجدل في يد اليهود في اليوم الخامس من نوفمبر نشرين الثاني) سنة ١٩٤٨ .